

# أهل البيت عليهم السلام


مقامهم، منصبهم، مسارهم



٢

# أهل البيت

مقامهم ، منهجهم ، مسارهم

معدة "المجمع العالمي لأهل البيت"   
بغداد - قسم - هاتف : ٢٧١٨٤ - ٢٧١٨٥  
[www.ahl-ul-bayt.org](http://www.ahl-ul-bayt.org)  
E-mail: info@ahl-ul-bayt.org



اسم الكتاب: أهل البيت نُشَيْخُ مقامهم، منهجهم، مسارهم.

التأليف: لجنة التأليف - مؤسسة البلاغ.

الناشر: رابطة الثقافة و العلاقات الإسلامية

مديرية الترجمة و النشر

الطبعة: السادسة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

العنوان: الجمهورية الإسلامية في إيران / طهران.

ص.ب ١١٨٧ / ١٤١٥٥

ISBN 964-472-072-5

حقوق الطبع محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

قال رسول الله ﷺ :

«إني تارك فيكم الثقلين؛ كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً، فإنها لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض».

أهل البيت ﷺ مدرسة مضيئة ونجوم متألفة في سماء الاسلام العظيم فهم القدوة الشامخة التي اقتدت برسول الله ﷺ، نهلوا من علمه، ونشأوا في بيته، وساروا على نهجه... يدعون إلى كتاب الله والاعتصام بسنة نبيه ﷺ، ويضربون في سلوكهم الأمثال السامية للأمم، يدعون إلى الحق ولا يمحيدون عنه قيد أنملة، إنهم كما يوضح لنا الحديث الشريف قرناء القرآن، لا يفترقون عنه، لأنهم المصداق الأمتل لكل ما حمل القرآن من مفاهيم وقيم، ولذا نزل فيهم القرآن صريحاً:

«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً».

(الأحزاب / ٣٣)

ولكثرة ما نزلت في أهل البيت ﷺ من آيات، وما نطقت فيهم من أحاديث صريحة - ذكرنا بعضاً منها في متن الكتاب - فإن أهل البيت ﷺ كانوا عبر التاريخ مهبط قلوب المسلمين في مختلف العصور والأمصار، يفدون إليهم لينهلوا من علومهم ويستزيدوا من أنوار معارفهم.

إن من يدرس تاريخ أهل البيت ﷺ وسيرتهم العلمية يعرف الدور الطليعي والمهمة الكبرى التي نهض بها أئمة أهل البيت ﷺ.. فقد عملوا

وكافحوا من أجل الحفاظ على نقاء الشريعة والذود عن أصالة العقيدة الإسلامية، فضحوا بأنفسهم وجاهدوا من أجل تطبيق تلك المبادئ السامية وقيادة الأمة على هديها..

وفي كل يوم يبرز تاريخ أهل البيت عليهم السلام المجيد حياً معطاء، يتفاعل مع وجدان الأمة ووعيمها، وبغني ميرتها، ويرفد حضارتها..

إن أهل البيت عليهم السلام هم المحور والإطار الجامع لوحدة الأمة وجمع شملها.. وفي هذا الكتاب الموجز حاولنا أن نعرف ببعض الجوانب من حياة أهل البيت عليهم السلام وما يتعلق بمقامهم ودورهم التاريخي..

وإننا في الوقت الذي نقدم هذا الكتاب الموجز للتعريف بمنهج أهل البيت عليهم السلام ومقامهم ومسارهم.. نحث أبناء الإسلام على الاستفادة من هدي أهل البيت عليهم السلام، والعمل به، والاجتماع حول هذه الطليعة الرائدة، والاقتداء بها.. والوقوف صفاً واحداً بوجه المخربين الذين يسعون لتفريق كلمة المسلمين وتزريق وحدتهم، في وقت تخوض فيه أمتنا الإسلامية كفاحاً عنيفاً ضد الاستعمار والشيوعية والصهيونية من أجل تطبيق الرسالة الإسلامية، والعيش في ظلال العدل الإلهي.

وأن تتوجه طاقات هذه الأمة للدعوة إلى الإسلام والدفاع عن مقدساته ونفويت الفرصة على الذين دأبوا على زرع الشقاق وبث السموم الطائفية بين أبناء المسلمين..

فيا أمة محمد العظيم ﷺ، ويا أحياء أهل البيت عليهم السلام عليكم بالوحدة والانحداد فإن هذه أمتكم أمة واحدة، وإن عزتكم وكرامتكم لا تستحق إلا بالالتزام برسالة الإسلام، والعمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا قَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.

## المدخل

أهل البيت عليهم السلام ذلك العنوان المضيء، والمجد الخالد، والاسم المحبب لكل نفس أحببت رسول الله ﷺ، وآمنت به وسارت على هدايته، فقد عرف المسلمون هذا العنوان الشائع في سماء التاريخ والمجد المتألق في أفق القرآن العظيم، منذ أن نطق الوحي بهذه التسمية المباركة، ومنح تلك الكوكبة الرائدة هذا اللقب الفريد في دنيا الإنسان:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

(الأحزاب / ٣٣)

وينزل هذه الآية المباركة تحمّده مسائر ومحور واتجاه داخل الحياة الإسلامية، وجه القرآن الأنظار إليه، وسلط الأضواء على موقعه الطلائعي الرائد وأبرز دور أهل البيت في حياة الأمة الإسلامية، وخصّصهم بإرادة التطهير المؤكّد من لدن الحكيم الخبير.

إنّ لهذا الحدث العظيم لمعنى خاصاً في حياة الأمة، وصنّع تاريخها وبناء حضارتها، يعرفه الباحثون والمحقّقون في مجال العلوم والمعارف الإسلامية، وفي ساحة الحياة السياسية لهذه الأمة.

لقد حدّدت هذه الآيات مركزاً لحركة التاريخ بعد رسول الله ﷺ وفق العرف والمنطق الإسلامي، بعد أن وهب الله هذه الصفوة المباركة صفة التطهير من الذنوب والمعاصي والآثام، فقد ثبت القرآن لهم أفضل درجات التفضيل، وأعلى مراتب الأهلية في الاقتداء والقيادة والريادة في الحياة الإسلامية التي ترى وفق فلسفتها العامة في الحياة:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾. (الحجرات / ١٣)

إن من يستقرئ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يجد لأهل البيت النبوي الشريف مقاماً خاصاً وموقعاً متميزاً، تحدت عنه أئمة هذه الأمة، وعلمائوها، ومفسروها، ورواتها، وأصحاب السير، ومؤرخوها، وفقهاؤها، وعبادها العارفون فيها من كل الاتجاهات والمذاهب.

إن كتب الحديث والسير والتفسير، وكتب الأدب والشعر والمناقب، التي ألفها المسلمون يختلف مذاهبهم ومشاربهم، قد أبرزت مكانة خاصة، وموقعاً هاماً لأهل البيت عليهم السلام، متحدثة عن عظمة هذه الشجرة المباركة، وقياس إيمان المؤمن بحب النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، والتسابق في تعريف الأمة بمناقب آل الرسول الكرام وتعميق حبهم في النفوس، وإظهار اللوعة والبراءة من أولئك الذين عادوا آل البيت النبوي الكريم، وأنزلوا بهم الفجائع والمحن.

إن أهل هذا البيت عليهم السلام كوكبة فريدة بما حملت من علم وتقوى وخلق وشرف رفيع وثبات على الحق ودفاع عن الإسلام بالعلم والسيف، ومقاومة للظلم والطغيان، لذا أجمع المسلمون أن ليس في هذه الأمة من يملك المقام والشرف والميزات التي خص الله بها أهل هذا البيت عليهم السلام، فهم وحدهم قد خصهم الله بالنظهير من الرُّجس والآثام:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرُّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

وهم وحدهم قد خصهم الله بأن جعل موتهم واجبة على هذه الأمة، وجعلها حقاً للنبي صلى الله عليه وآله عليها:

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَعْتَرِفْ حَسَنَةً نَّدَرْتُمُ لَهُ فِيهَا حَسَنَةٌ﴾. (الشورى / ٢٣)

وهم وحدهم جعل الله سبحانه الصلاة عليهم واجبة في الصلوات اليومية الخمس، يقرن ذكرهم بذكر رسول الله ﷺ :

﴿وَإِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ .  
(الأحزاب / ٥٦)

وقد علم رسول الله ﷺ أتمه كيف تصلي عليه وعلى آله، فقال لهم حين سألوه: كيف نصلي عليك يا رسول الله؟ قال:

«قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

فليس في هذه الأمة من نه هذه المزايا والصفات، من هنا نعرف عظمة أهل البيت ومقامهم، ووجوب حبهم والافتدائهم، والسير على نهجهم. فالقرآن لم يؤكد على أهل هذا البيت ﷺ، ولم يبين للأمة مقامهم ومكانتهم إلا لفرض الافتدائهم بهم يعد رسول الله ﷺ، والفتك بحبهم، والأخذ عنهم.

فهو لم يعرفهم بهذا التعريف إلا لأغراض عقائدية ورسالة تدعو كل مسلم إلى التأمل والتفكير، ومعرفة هذه الطليعة الرسالية التي منحها الله موقع الإمامة والريادة في الأمة، بعد أن عرفهم بهذا التعريف، وعرفهم رسول الله ﷺ.

وستعرض - فيما يلي - لتعريف القرآن والسنة المطهرة، وأئمة المسلمين، وعلمائهم، وأدبائهم، بهذه الشجرة المباركة، والذرية الطاهرة، والطليعة الرائدة.





## أهل البيت ﷺ في القرآن الكريم

القرآن الكريم مصدر الفكر، ومنبع التشريع والقيم، وما جاء به القرآن فهو وحي منزل وكلام إلهي مقدس، يصوغ نظام الحياة، ويشخص قوانينها، وكل مسلم يعلم أن ما جاء به القرآن هو شريعته ورسالته في الحياة، وهو ملزم بالعمل به والتسير على هداه، وقد تحدّث القرآن عن أهل البيت ﷺ مستعملاً الأساليب التالية :

١ - التصريح باسمهم الاصطلاحي الذي اصطلح عليه القرآن فهو تارة بـسَمِّهِمْ (أهل البيت) كما في آية التطهير، وتارة بـسَمِّهِمْ (القرى) كما في آية المودة، وبذا نزلت آيات كثيرة وضحت السنته النبوية، وبينتها للأمة في حينها، ورواها المفسرون، والزواة، في كتبهم، وموسوعاتهم.

٢ - تسجيل أحداث ووقائع تخص أهل البيت ﷺ ونزول آيات كثيرة تتحدّث عن فضلهم ومقامهم، وتتنى عليهم، وتوجّه الأمة نحوهم، مجتمعين تارة، كما في آية المباهلة (آل عمران / ٦١)، وآية الإطعام في سورة الدهر وغيرها، ومتفرّقين كما في آية النولاية (المائدة / ٥٥).

وستعرض لبعض هذه الآيات - وهي كثيرة - التي تحدّثت عن أهل البيت ﷺ بشيء من التفصيل والتوضيح :

### أولاً : آية التطهير

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

(الأحزاب / ٣٣)

لقد تظافرت التفسير والروايات أن المقصود بأهل البيت عليهم السلام، هم أهل بيت النبي ﷺ، وهم: (علي وفاطمة والحسن والحسين).

فقد ورد في الدر المنثور للسيوطي:

«أخرج الطبراني عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة: اتيني بزوجك وابنيه، فجاءت بهم فالتى رسول الله ﷺ عليهم كساءً فذكرها، ثم وضع يده عليهم ثم قال:

(اللهم انّ هؤلاء أهل محمد - وفي لفظ آل محمد - فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على آل إبراهيم أنك حميد مجيد).

قالت أم سلمة فرفعت الكساء لأدخل معهم فحذبه من يدي وقال: إنك على خير» (١).

وروي عن أم سلمة زوج النبي: أن رسول الله ﷺ كان يبيتها على منامة له عليه كساء خيري فجاءت فاطمة بمرمة فيها خزيرة (٢) فقال رسول الله ﷺ: ادعي زوجك وابنيك حسناً وحسيناً، فدعتهم، فبينما هم يأكلون إذ نزلت على رسول الله ﷺ:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

فأخذ النبي ﷺ بنفسه إزاره فغشاهم إياها ثم أخرج يده من الكساء

(١) الترمذي / ج ٢ / مناقب أهل البيت / ص ٣٠٨، بسنده عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ قال: نزلت هذه الآية على النبي ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ في بيت أم سلمة، فدعا النبي ﷺ: فاطمة وحسناً وحسيناً، وعلي خلف ظهره فجعلهم يكساء ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله. قال: أنت على مكانك، وأنت إلى خير».

(٢) الخزيرة: نوع من الطعام.

وأوماً وإلى السماء ثم قال:

«اللَّهُمَّ هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا». قالها ثلاث مرات، قالت أم سلمة، فأدخلت رأسي في السُتر، فقلت: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا معكم؟ فقال: «إِنَّكَ إِيَّيْنا خير، مرتين» (٢).

واستمر رسول الله صلى الله عليه وآله يوضح لأمته معنى الآية الكريمة، ويكرس فهمها لهذه الآية لتستبين بها، وتسير على هديها فقال:

«نزلت هذه الآية في خمسة: في، وفي علي وفاطمة وحسن وحسين: «إِنَّا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»» (٣). كما روي عن عائشة تفسير هذه الآية وتأكيدها بيان الأشخاص المقصودين فيها: (أخرج النبي ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله فيه ثم جاء الحسين فأدخله معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال:

(٢) روي الحديث في غاية المرام عن عبدالله بن أحمد بن حنبل ثلاث طرق عن أم سلمة، وكذا عن تفسير التلبي... وفيه أخرج ابن مردويه والخطيب عن أبي سعيد الخدري نفس المعنى آنف الذكر مع بعض الاختلاف في التعبير اللفظي، ورواه أيضاً في غاية المرام عن عبدالله بن أحمد بن حنبل عن أبيه بإسناده عن أم سلمة، راجع الميزان في تفسير القرآن للعلامة الطباطبائي / آية التطهير، ومن أراد المزيد من مراجعه المصادر الخاصة بتفسير آية التطهير والتعريف بأهل البيت الخمسة فليراجع المحقق رقم (١) في آخر الكتاب.

(٣) أخرج هذه الرواية ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني عن أبي سعيد الخدري، كما رواها أيضاً في غاية المرام عن التلبي في تفسيره، وفيه أخرج الترمذي وصححه، وابن جرير وابن المنذر، والحاكم، وصححه. وابن مردويه والبيهقي في سننه من طرق أم سلمة، راجع الميزان في تفسير القرآن للطباطبائي.

«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» (٤).  
وجاء في رواية أخرى أن رسول الله ﷺ كان يمر بباب فاطمة إذا خرج إلى صلاة الفجر ويقول:

«الصلاة يا أهل البيت، الصلاة، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» (٥).

وهكذا يتحدث القرآن الكريم عن أهل البيت عليهم السلام، ويحدد شخصياتهم الظاهرة، البعيدة عن الرجس والمعاصي والآثام وهوى النفس، وما عرّف القرآن بهم هذا التعريف إلا ليؤكد للأمة مقامهم ومكانتهم، ويوجّه نظرهم للاقتداء بهم، والرجوع إليهم في فهم الشريعة، وأخذ أحكامها عنهم، ليحدد للأمة الميزان العملي، والمقياس الذي يرجعون إليه عند اختلاف الآراء، وتعارض الفهم والمعتقد.

وما مواظبة الرسول ﷺ على الوقوف بباب علي وفاطمة شهوراً عديدة، ومناذاته ﷺ عند الفجر لهم، يدعوهم إلى الصلاة، ويسئّهم أهل البيت، إلا ليعرّف بشخصيات أهل البيت عليهم السلام، ويفسر للمسلمين الآية: (آية التطهير)، ويعرّف الأمة بمقام أهل البيت عليهم السلام، ويوجّه نظرهم إليهم، ويوجب عليها حبهم، وطاعتهم، والولاء لهم.  
فقد روى الطبراني عن أبي الحمراء ولفظه:

(٤) من المتفق عليه من أصحابنا عن أبي خازن ومسلم من سند عائشة / غاية المرام، وذكرها الزمخشري في تفسير الكشاف عند تفسيره آية المياملة.

(٥) ابن مردويه عن ابن أبي شيبة وأحمد والترمذي، وحسنه، وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم، وصححه، وابن مردويه عن أنس / تراجع الميزان للطباطبائي لتابعة هذه المصادر / تفسير آية التطهير.

(رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْتِي عَلَى بَابِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، يَقُولُ: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»<sup>(٦)</sup>.)  
 وذكر الفخر الرازي في «التفسير الكبير» أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بعد نزول الآية الكريمة:

«وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا» . (طه / ١٣٢)

كان يذهب إلى عليٍّ وفاطمة عليهما السلام كل صباح ويقول: «الصلاة»، وكان يفعل ذلك أشهرًا).

عن أنس: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَمُرُّ بَبَيْتِ فَاطِمَةَ عليها السلام سِتَّةَ أَشْهُرٍ كُلَّمَا خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ، يَقُولُ:

«الصَّلَاةُ أَهْلَ الْبَيْتِ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»<sup>(٧)</sup>.)

وفي ذلك إيضاح ودلالة على عناية رسول الله ﷺ بهذا البيت، وتأكيده للمسلمين أنهم هم أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً.

وواضح من دلالة الآية: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» واستعمالها اللفظ المذكور دون المؤنث (عنكم) و (يطهركم) دلالة على أَنَّ المقصود هم هؤلاء الخمسة، فقد ورد في التفاسير لو أَنَّهُ أراد نساء النبي لاستعمل كلمة (عنكن)، (يطهركن)، وخاطبهن بخطاب المؤنث.

(٦) جامع الأصول / ج ٩ / ص ١٥٦. نقله عن صحيح الترمذي، ورواه - أيضاً - المحاكم في المستدرک / ج ٣ / ص ١٥٨ وصححه.

(٧) تقي الدين أحمد بن علي المقريري المتوفى سنة (٨٤٥ هـ) / فضل آل البيت / ص ٢١، ومن أراد الزيادة فليراجع المصادر المدونة في الملحق رقم (١١).

وقد مرّ علينا في حديث الكساء عند نزول الآية: أن رسول الله ﷺ عندما هتّت أمّ المؤمنين أم سلمة بالدخول مع أهل بيته تحت الكساء، جذب من يدها الكساء وقال لها: أنت على مكانك، وأنت إلى خير.

مما يدل على عدم شمول آية التطهير لنساء النبي ﷺ، ولم تدع أي منهنّ نزول الآية فيهنّ، مع ما في الآية من فضل عظيم ومنزلة كريمة.

إنّ هذه الآية ترسم طريقاً واسع الدلالة والمحتوى، وتلفت نظرنا إلى حقائق أساسية في الحياة الإسلامية، لتلا يضطرب علينا الفهم، وتضيق المقاصد الحقّ لكتاب الله، الذي أراد أن يبني الأمة على أساس الطهر والابتعاد عن الرجس والردبلة، وجعل أهل البيت عليهم السلام هم المحور، والمنار في هذا البناء، فليس في المسلمّين من يشهد له القرآن بهذا الوصف، وليس فيهم من خاطبه رسول الله ﷺ بهذه الصفة، صفة الطهارة المطلقة، والبعد عن الذنوب والآثام، سوى أهل البيت عليهم السلام.

### ثانياً: آية المودة

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾  
(الشورى / ٢٣)

وقد أوضح الرسول الكريم ﷺ من هم المعنيّون بهذه الآية المباركة، ومن هم الذين وجب حبّهم وطاعتهم، والسير على نهجهم.

روى المفسّرون المحدثون وأرباب السير أن (قربى النبي) المقصودين في هذه الآية هم (عليّ وفاطمة والحسن والحسين).

قال الزمخشري في تفسيره الكشاف ما نصّه:

(روي أنّه اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض: أترون

محمدًا يسأل على ما يتعاطاه أجراً؟ فنزلت الآية:

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (٨).

ثم قال الزمخشري: (وروي أنها لما نزلت قيل: يا رسول الله ﷺ من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما).

وفي مسند أحمد بن حنبل - بإسناده المذكور - عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (رضي الله عنهم) قال: لما نزل قوله تعالى:

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾.

قالوا: يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال ﷺ: (علي وفاطمة وابناهما) (٩).

وثبت الفخر الرازي في التفسير الكبير بعد أن ذكر قول الزمخشري في آل محمد ﷺ ما نصه:

(وأنا أقول: آل محمد ﷺ هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكل من كان أمرهم إليه أشد وأكمل كانوا هم (الآل)، ولا شك أن فاطمة وعلياً والحسن والحسين كان التعلق بينهم وبين رسول الله ﷺ أشد التعلقات. وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم (الآل).

وأيضاً اختلف في (الآل)، قيل: هم الأقارب، وخيل هم أمته، فإن حملناه على القرابة فهم (الآل)، وإن حملناه على الأمة (١٠) الذين قبلوا دعوته فهم

(٨) الفخر الرازي / التفسير الكبير / تفسير سورة الشورى / الآية ٢٣.

(٩) غاية المرام / تفسير الآية.

(١٠) واضح لدى القارئ الكريم أن هذا التفسير فيه بُدع عن انعني الحقيقي. وإن معنى (الآل) واضح في لغة العرب، ولا يمكن أن يقال تفسير (الآل) الأمة، وللمزيد من المصادر التي



أيضاً (الأل)، فثبت أن على جميع التقديرات هم (الأل).

وأما غيرهم فهل يدخلون تحت لفظة (الأل)؟ فختلف فيه، وروى صاحب الكشاف أنه لما نزلت هذه الآية، قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ فقال: (علي وفاطمة وابناهما)، فثبت أن هؤلاء الأربعة أقارب النبي ﷺ، وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم، ويدل عليه وجوه:

الأول: قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، ووجه الاستدلال به ما سبق.

الثاني: لا شك، أن النبي ﷺ كان يحب فاطمة عليها السلام، قال ﷺ:

«فاطمة بضعة مني يؤذيها ما يؤذيها».

كما ثبت بالنقل المتواتر عن محمد ﷺ إنه كان يحب علياً والحسن والحسين، وإذا ثبت ذلك وجب على كل الأمة مثله، لقوله تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾. (آل عمران / ٣١)

﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾. (الأعراف / ١٥٨)

ولقوله:

﴿قَلِيلٌ حَذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾. (النور / ٦٣)

ولقوله سبحانه:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ أَسْوَأَ خَسَنَةٍ﴾. (الأحزاب / ٢١)

الثالث: إن الدعاء للأل منصب عظيم، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة

→ جاءت في تفسير الآية ونسبها عل أن (الأل) هم: علي وفاطمة والحسن والحسين.

يراجع الملحق رقم (٢).

التشهد في الصلاة، وهو قوله: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَارْحَمْ مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ».

وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير (الأكل)، فكل ذلك يدل على أن حب آل محمد عليهم السلام واجب، وقال الإمام الشافعي رحمته الله :

يا راكباً قف بالتحصب من منى      واهتف بساكن خيفها وناهض  
سحراً إذا فاض الحبيج إلى منى      فيضاً كما نظم الفرات الفانض  
إن كان زفضاً حب آل محمد      فليشهد الثقلان أني رافضي<sup>(١١)</sup>  
وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والطبراني في المعجم الكبير عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية:

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾.

قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال عليه السلام : علي وفاطمة وولداهما<sup>(١٢)</sup>.

وفيه صريح عن الحسن بن علي عليهما السلام أنه خطب الناس فقال في خطبته:

(١١) الفخر الرنزي / التفسير الكبير / تفسير سورة الشورى / الآية ٢٣. الحليف: غزوة يبعث بجنك في الجبل الأسود الذي خلف أبي فبيس، وبها سُمي مسجد الحليف.

(١٢) إجماع المبت بفضائل أهل البيت للسيوطي / (مؤسسة انوفاء - بيروت ١٤٠٤ هـ) / ص ٨، ورواه السيوطي في الدر المنثور / ج ٦ / ص ٧ عن طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير / مسند الإمام الحسن / ج ١ / ص ١٢٥ (نسخة مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق) مع اختلاف في النص: «علي وفاطمة وابناهما»، ونقله هذا النص عن الطبراني الهيثمي في مجمع الزوائد / ج ٩ / ص ١٦٨، كما ذكر الحديث الطبري في ذخائره / ص ٢٥، وقال: أخرجه أحمد في المساقب. كما نقله ابن الصباغ المالكي عن النووي مرفوعاً يستند عن ابن عباس / ص ٢٩. وذكره القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن برواية سعيد بن جبير عن ابن عباس، ج ١٦ / ص ٢٦ - ٢٢.

«أنا من أهل البيت الذين افترض الله موَدَّتَهُم على كل مسلم، فقال: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾».

وقد أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس: «ومن يقترف حسنة...» قال: المودة لأهل محمد عليه السلام (١٣).

في آية التطهير ثبت القرآن طهارة أهل البيت عليهم السلام، ونقاءهم، وبهذا استحقوا المودة والإخلاص اللذين أمر بهما القرآن في هذه الآية.

ولا يعني القرآن بهذه المودة: الارتباط العاطفي، والحب القلبي فقط، فلا قيمة للحب والنود الذي يعيش في النفس والوجدان، ولا يجد له المصاديق والتحقق.

وتحقيق الود والحب لذوي القربى - قربي الرسول ﷺ - يكون في الاقتداء بهم، والتسير على منهجهم، والالتزام بدرسهم، وما صدر عنهم، ووضعهم في الأمة موضع القدوة والريادة.

ولولا ضمان الاستقامة في أهل البيت عليهم السلام، وقدرتهم على قيادة الأمة في طريق الهدى، وضمان ذلك، لما نزل به قرآن، ولما أمر الرسول ﷺ بأن يجعل حقه على الأمة وذو أهل البيت عليهم السلام.

وتلك الإضامة التي أوردناها من أقوال المفسرين والزواة وأصحاب الحديث نقلت إلينا تفسير رسول الله ﷺ لهذه الآية المباركة، ووضعت مودة أهل البيت عليهم السلام في القلوب، وجعلتها حقيقة تعيش في وجدان كل مسلم، وتتجسد في سلوكه، وتظهر على مشاعره وعواطفه وتحثه موقفه من أهل البيت عليهم السلام. ومن أعدائهم، وأحبائهم، ومنهجهم، وما ثبت عنهم من حديث وفقه، وتفسير، وفكر، وتوجيه، وبيان للعقيدة والتشريعة، ومنهج

للعمل في القيادة والسياسة.

وهذا الوسام والشرف، له مغزاه، ودلالته الخاصة، ينبغي أن يعيه المسلمون ويدركوا عمقه.

### ثالثاً: آية المباهلة

﴿قَدْ حَاجَّكَ فِيهِ مَنْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ قُلْ تُعَالَوْا تُدْعُ أَبْنَاءَنَا  
وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لِنَفْسٍ اللَّهُ  
عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران ٦١).

وقعت حادثة تاريخية خالدة رواها المؤرخون والمفسرون، كشفت هذه  
الأمة حرمة أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله : (علي وفاطمة والحسن والحسين) على  
الله سبحانه، ومكانتهم في هذه الأمة، ودلت على عظمة قدرهم ومقامهم  
الفريد عند الله سبحانه.

وحادثة المباهلة كما رواها المؤرخون والمفسرون والرواة هي: أن وفداً (١٤)  
من نصارى نجران جاء ليحاجج رسول الله ويحاوره، فأمره الله سبحانه بهذه  
الآية المباركة أن يدعو (علياً وفاطمة والحسن والحسين) ويخرج بهم إلى  
الوادي، وأن يدعو النصاري أبناءهم ونساءهم ويخرجوا معهم. ثم يدعو الله  
بأن ينزل العذاب على الكاذبين.  
قال الزمخشري في الكشاف:

(١٤) ويتكون الوفد من: العاقب، واسمه عبد المسيح. كان أمير القوم وصاحب رأيهم  
وصاحب مشورتهم، والسيد، وهو: الآتهم. وكان قتلهم وصاحب رحابهم ومجتمعتهم.  
وأبو حاتم بن علقمة، وكان أسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم / الفصول المهمة /  
ابن الصياغ المالكي / مقدمة المؤلف.

(إِنَّهُمْ لَمَّا دُعَاهُمْ إِلَى الْمَبَاهِلَةِ<sup>(١٥)</sup>) قَالُوا: حَتَّى نَرْجِعَ وَنَنْظُرَ، فَلَمَّا تَخَالَوُا قَالُوا  
لِلْعَاقِبِ - وَكَانَ ذَا رَأْيِهِمْ -: يَا عَبْدَ الْمَسِيحِ، مَا تَرَى.

فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُمْ يَا مَعْشَرَ النَّصَارَى أَنَّ مُحَمَّدًا نَبِيٌّ مَرْسَلٌ، وَقَدْ  
جَاءَكُمْ بِالْفَصْلِ مِنْ أَمْرِ صَاحِبِكُمْ، وَاللَّهُ مَا بَاهِلُ قَوْمٍ نَبِيًّا قَطُّ فَعَاشَ كَبِيرُهُمْ،  
وَلَا نَبَتْ صَغِيرُهُمْ، وَلَئِنْ فَعَلْتُمْ لَتَهْلِكُنَّ، فَإِنْ أَيْتَمَ إِلَّا إِلْفُ دِينِكُمْ وَالْإِقَامَةُ  
عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ، فَوَادِعُوا الرَّجُلَ وَانصَرَفُوا إِلَى بِلَادِكُمْ.

فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ غَدَا مُحْتَضِئًا الْحُسَيْنَ، أَخَذَ أَيْدِي الْحُسَيْنِ،  
وَفَاطِمَةَ تَحْتِي خَلْقَهُ، وَعَلَى خَلْقَهَا، وَهُوَ يَقُولُ: «إِذَا أَنَا دَعَوْتُ فَأَمْتُوا».

فَقَالَ أَسْقَفَ نَجْرَانَ: يَا مَعْشَرَ النَّصَارَى، إِنِّي لَأَرَى وَجُوهًا لَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ  
يَزِيلَ جِبَلًا مِنْ مَكَانِهِ لِأَزَالَهُ بِهَا، فَلَا تَبَاهِلُوا فَتَهْلِكُوا، وَلَا يَبْقَ عَلَى وَجْهِ  
الْأَرْضِ نَصْرَانِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، رَأَيْنَا أَنْ لَا تَبَاهِلَكَ، وَأَنْ تَقْرَكَ عَلَى دِينِكَ وَنَشَبْتَ  
عَلَى دِينِنَا.

قال:

«إِذَا أَيْتَمَ الْمَبَاهِلَةُ فَأَسْلَمُوا، يَكُنْ لَكُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ، وَعَلَيْكُمْ مَا عَلَيْهِمْ».

فَأَبَوْا، فَقَالَ: «فَإِنِّي أَنَا جِزْمٌ».

فَقَالُوا: مَا لَنَا بِمُحَرِّبِ الْعَرَبِ طَاقَةً، وَلَكِنْ نَصَالِحُكَ عَلَى أَنْ لَا تَغْرُونَا وَلَا  
تُخَيِّفُنَا وَلَا تَرْدُنَا عَنْ دِينِنَا، عَلَى أَنْ نُوَدِّيَ إِلَيْكَ كُلَّ عَامٍ أَلْفِي حِلَّةٍ، أَلْفٌ فِي  
صَفَرٍ، وَأَلْفٌ فِي رَجَبٍ، وَثَلَاثِينَ دِرْعًا عَادِيَةً مِنْ حَدِيدٍ، فَصَالِحُهُمْ عَلَى ذَلِكَ.

(١٥) قَالَ الزَّعْزَعِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (الْكَشَافُ): «ثُمَّ نَبَاهِلَ، ثُمَّ تَبَاهِلَ بِأَنْ يَقُولَ: يَهْلِكُ اللَّهُ  
عَلَى الْكَذَابِ مَتَا وَمَنْكُمْ، وَالتَّهْلَةُ بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ: الْأَمْنَةُ، وَبِهَلَهُ اللَّهُ: لَعْنَتُهُ، وَأَبْعَدَهُ مِنْ رَحْمَتِهِ،  
مِنْ قَوْلِكَ: «أَيْهَلُهُ: إِذَا أَهْمَلَهُ» وَأَصْلُ الْإِبْهَالِ هَذَا، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ فِي كُلِّ دَعَاءٍ يَجْتَهِدُ فِيهِ.

وقال عليه السلام :

«والذي نفسي بيده، إنَّ الهلاك قد تدنَّى على أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي تاراً، ولأستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤوس الشجر، ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا».

ثم استطرد الزمخشري حديثه عن تفسير آية المباهلة ومقام أهل البيت عليهم السلام بعد أن استشهد على عظيم مكانتهم بحديث عائشة. استطرد قائلاً: (وقدّمهم في الذّكر على الأنفس لينبّه على لطف مكانتهم، وقرب منزلتهم، وليؤدّن بأنهم مقدّمون على الأنفس، مفدّون بها، وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء (١٦)).

وفيه برهان واضح على صحّة نبوة النبي صلى الله عليه وآله، لأنّه لم يرو أحد من موافق ولا مخالف أنّهم أجابوا إلى ذلك (١٧).

إنّ انقمام كان يوحى ببروز معسكر الإيمان مقابل معسكر الشرك، وإنّ الذين برزوا هم طليعة الهدى ومقدمة الأمة وأقدس ما فيها من نفوس أذهب الله عنها الرّجس فطهرها تطهيراً، فلا ترذّ لهم دعوة، ولا تكذّب لهم كلمة، من هنا نفهم أن ما وردنا عن أهل البيت عليهم السلام من فكر وتشريع ورواية وتفسير وهداية وتوجيه هو جار مجرى هذا الموقف، فهم الصادقون في طاعتهم وسيرتهم ومنهجهم.

(١٦) يُطلق لفظ أصحاب الكساء على الذين اجتمعوا مع النبي صلى الله عليه وآله تحت كسائه، ونزلت فيهم الآية المباركة: «إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»، وهم عليّ وفاطمة والحسن والحسين، كما مرّ ذلك فيما تقدّم.

(١٧) الزمخشري / تفسير الكشاف / سورة آل عمران / الآية (٦٦)، وكذا جاء في تفسير التّعالي عن مجاهد والكلبي.

والقرآن تحدى بهم أعداء الإسلام، وجعل خصومهم الكاذبين، المعرضين لللعنة والعذاب: ﴿فَنَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.

ولولا ضمان الاستقامة والصدق فيما يصدر عنهم لما منحهم الله هذا الشرف، ولما نطق القرآن بذلك.

ودون الفخر الرازي في تفسيره (الكبير) نفس الرواية التي رواها الزمخشري كاملة، فكان تفسيرها متطابقاً تمام التطابق في هذا المحور، ثم علق بقوله:

(وأعلم إن هذه الرواية كالمُتَّفَقِ على صحتها بين أهل التفسير والحديث) (١٨).

وقد ذكر العلامة الطباطبائي في حديثه أن المعنى بهذه الآية، وأن الذين باهل الله بهم أعداءهم: «هم رسول الله ﷺ وعلي، وفاطمة، والحسن والحسين عليهم السلام» ما نصّه:

«أطبق على نقلها وتلقيها بالقبول أهل الحديث، وأثبتها أرباب الجوامع في جوامعهم، ومنهم مسلم في صحيحه، والترمذي في صحيحه. وأيدها أهل التاريخ.

ثم أطبق المفسرون على إيرادها وإبداعها في تفاسيرهم من غير اعتراض أو ارتياب، وفيهم جمع من أهل الحديث والتاريخ، كالطبري، وأبي الفداء، وابن كثير، والسيوطي، وغيرهم».

وفي هذه الآية الكريمة يباهل الله ورسوله بهم أعداءه فيعرف بمقامهم العظيم، ومكانتهم المقدسة، ولولا ما لهم من حرمة خاصة على الله سبحانه، وقُدسية متميزة لديه، لما دعا رسوله ﷺ لأن يخرج بهذه الكوكبة الطاهرة

يحتذى أعداء الله ينزلون العذاب وضمان استجابة الدعاء.

وفي الآية دقائق لغوية لا بدّ من الوقوف عندها وهي: إضافة هذه الكوكبة (الحسن والحسين وفاطمة وعلي) إلى رسول الله (أبناءنا) و(نساءنا) و(أنفسنا).

فلولا تجسيد الحادثة، وخروج رسول الله ﷺ ومعه هذه الكوكبة لانصرف الذهن من إطلاق كلمة (نساءنا) إلى أزواج النبي ﷺ، و(أبناءنا)، إلى فاطمة وبناته الأخريات، ومن (وأنفسنا) إلى ذاته المقدسة وحدها.

إلا أن رسول الله ﷺ باخراجه هؤلاء الأربعة معه دون غيرهم فسّر لنا أن صفوة نساء الأمة وقودتها: فاطمة، وأن صفوة أبناء المسلمين الحسن والحسين، ونسبهم القرآن إلى رسول الله ﷺ، فكانوا وفق منطوق الآية أبنائه، واعتبر القرآن علياً: كنفس رسول الله ﷺ.

#### رابعاً: آية الصلاة

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب / ٥٦)

في هذه الآية أمر واجب بالصلاة على النبي ﷺ وآله الكرام عليهم السلام، وتخصيصهم دون غيرهم، وتعظيم لمقامهم وكرامتهم لتعرف الأمة موقعهم الرسالي في حياتها ورسالتها.

وقد سجل الفخر الرازي في تفسيره (الكبير) ما ورد عن رسول الله ﷺ في تفسير هذه الآية المباركة، فقال:

«سئل النبي ﷺ: كيف نصلي عليك يا رسول الله ﷺ؟ فقال: قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم،



وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم  
وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

وقيل أن يورد هذا النص، استعرض تفسير الآية ثم قال:  
(هذا دليل على مذهب الشافعي لأن الأمر للوجوب<sup>(١٩)</sup>، فتجب الصلاة  
على النبي ﷺ، ولا تجب في غير التشهد فتجب في التشهد<sup>(٢٠)</sup>).  
ثم عقّب الرازي بقوله:

(إذا صلى الله وملائكته عليه فأى حاجة إلى صلاتنا؟

نقول: الصلاة عليه ليس لحاجته إليها، وإلا فلا حاجة إلى صلاة الملائكة  
مع صلاة الله عليه، وإنما هو لإظهار تعظيمه متناً، شفقة علينا، ليشيننا عليه.  
ولهذا قال ﷺ: «من صلى عليّ مرة صلى الله عليه عشراً»).

وفي الدر المنثور للسيوطي: (أخرج عبد الرزاق وابن أبي شيبة وأحمد  
وعبد بن حميد البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن صاجة  
وابن مردويه، عن كعب بن عجرة، قال: قال رجل: يا رسول الله أما الصّلام  
عليك فقد علمناه، فكيف الصّلاة عليك؟ قال: قل:

«اللّهُمَّ صلّ على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل  
إبراهيم، إنك حميد مجيد».

وقد أورد ثمانية عشر حديثاً غير هذه الرواية تدل على تشريك آل النبي  
ﷺ معه في الصلاة، رواها أصحاب السنن والجموامع عن عدّة من الصحابة

(١٩) يشير إلى فعل الأمر «صلّوا عليه» الوارد في الآية، وقد بحث علماء أصول الفقه  
دلالة فعل الأمر على الوجوب، فني نظر بعضهم كنهياً ورد أمر في الكتاب وانسأ أفاد  
الوجوب، إلا إذا اقترن بقرينة يستفاد منها صرف الدلالة من الوجوب إلى الاستحباب.

(٢٠) الفخر الرازي / التفسير الكبير / تفسير سورة الأحزاب / الآية ٥٦.

عليه السلام معه في الصلاة، رواها أصحاب السنن والجوامع عن عدة من الصحابة منهم: ابن عباس وطلحة وأبو سعيد الخدري وأبو هريرة وأبو مسعود الأنصاري وبريدة وابن مسعود وكعب بن عمرة وعلي عليه السلام.

وفيه: أخرج أحمد والترمذي عن الحسن بن علي عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال: «البخيل من ذكرتُ عنده فلم يصل علي» (٢١).

وهكذا يرى الفقهاء وجوب الصلاة على محمد وآل محمد عليهم السلام في تشهد الصلاة (٢٢)، وجوب الاتيان بذكر آل محمد في الصلاة.

إن المتأمل في هذه الآية يدرك بوضوح الغاية من هذا التشريع والالزام به، هي تعظيم آل محمد عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً لتقتدي الأمة بهم، وتنهج نهجهم، وتفرغ في القنن والخلافت إليهم.

فأولئك الذين لا تحوز الصلاة إلا بالصلاة عليهم، هم أئمة الأمة، ولولا ثبوت وضمان استقامتهم، وسلامة ما صدر عنهم لما أمر الله المسلمين على مدى الدهور أن يتعلقوا بهم، ويصلوا عليهم في كل صلاة.

إن في ذلك التكرار - تكرار الصلاة على محمد وآل محمد عليهم السلام، وفرضها في الصلاة - تأكيداً، وإلفات نظر للمسلمين في كل صلاة لأهمية أهل البيت عليهم السلام ومنزلتهم، والافتداء بهم والسير على نهجهم، والتسك بمسارهم.

(٢١) العلامة الطباطبائي / الميزان في تفسير القرآن / ج ١٦ / ٣٤٤

(٢٢) قال الحق الحلي، وهو من أعظم فقهاء أهل البيت عليهم السلام، من أعلام القرن السابع الهجري، عند ذكر واجبات الصلاة: (سابعاً) التشهد، وهو واجب في كل ثنائية مرة وفي الثلاثية والرباعية مرتين ولو أدخل بها أو بأحدهما - عامداً - بطلت صلاته، والواجب في كل واحد منها خمسة أشياء: الجلوس بقدر التشهد، والشهادتان والصلاة على النبي ﷺ وعلى آله عليهم السلام / شرائع الإسلام / ج ١ / باب لصلاة.

## خامساً: سورة الإنسان (الذهر)

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا \* عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا \* يُوقُونَ بِالْآثَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا \* وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَشْكُونًا وَبَيْتًا وَأَسِيرًا \* إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا \* إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا \* فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا \* وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا \* مُتَكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا \* وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَيْدِيهِمْ أَتَدْلِيلًا \* وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَاتِهِ مِنْ فَضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا \* قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا \* وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا \* عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا \* وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُذُلًا مَشْنُورًا \* وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلَكًا كَبِيرًا \* عَلَيْهِمْ نِيبٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَخُلُوعًا أُسُورٌ مِنْ فَضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا \* إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا \*﴾ (الإنسان ٥١ - ٥٢)

في هذه الآيات المباركة يتحدّث القرآن عن أهل البيت عليه السلام ويضعهم في قمة الايثار والتقوى، ويعرضهم غاذج وقدوة للبشرية لتقتدي بهم الأجيال وتسير على نهجهم.

والحادثة التاريخية التي نزلت بسببها الآية المباركة تشير إلى مقام أهل البيت عليه السلام، ونسائهم في التطبيق والالتزام الشرعي والتجرد الكامل لله تعالى، وأتتهم هم الأبرار المبشرون بالجنة، فمن اقتدى بهم وسار على نهجهم حُسِرَ معهم، فقد أورد الزمخشري في تفسير هذه الآية ما نصّه:

(وعن ابن عباس رضي الله عنه : إنَّ الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله ﷺ في ناس معه ، فقالوا : يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك . فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما إن برتا مما بهما : أن يصوموا ثلاثة أيام .

فشفيا وما معهم شيء ، فاستقرض علي عليه السلام من شمعون الخيري اليهودي ثلاثة أصوع من شعير . فطحن فاطمة صاعاً واختبرت خمسة أقراص على عددهم ، فوضعوها بين أيديهم ليفطروا . فوقف عليهم سائل فقال : السلام عليكم أهل بيت محمد ﷺ مسكين من مساكين المسلمين . أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة ، فأثروه وياتوا ولم يذوقوا إلا الماء . وأصبحوا صياماً ، فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم ، فأثروه .

ووقف عليهم أسير في الثالثة ، ففعلوا مثل ذلك . فلما أصبحوا أخذ علي عليه السلام بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول الله ﷺ ، فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالقراخ من شدة الجوع ، قال : ما أشد ما يسوؤني ما أرى بكم ، وقام فانطلق معهم ، فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها بطنها وغارت عيناها . فساءه ذلك ، فنزل جبريل ، وقال : «خذها يا محمد هنالك الله في أهل بيتك» فأقرأه السورة (٢٣) .

سادساً : وقد نزل من القرآن آيات عديدة في الإمام علي بن أبي طالب

---

(٢٣) الزمخشري / الكشاف / تفسير سورة الإنسان / وأورد الفخر الرازي في التفسير الكبير نفس الرواية عن الكشاف ، كما أوردها عن الواحدي . وروى الطبرسي في مجمع البيان نفس الرواية .



فطرح له خاتمه كأنه كان مرجأ في خنصره، فلم يتكلف تحمله كثير عمل تفسد بمثله صلاته.

فإن قلت: كيف صح أن يكون لعلي عليه السلام واللفظ لفظ جماعة؟

قلب: جيء به على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلاً واحداً ليرغب الناس في مثل فعله، فينالوا مثل ثوابه، ولينبه على أن سعية المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على الثبر والإحسان وتفقّد الفقراء. حتى إن لزمهم أمر لا يقبل التأخير وهم في الصلاة، لم يؤخروه إلى الفراغ منها<sup>(٢٥)</sup>. وذكر الواحدي عن الكلبي في أسباب نزول الآية:

﴿إِنَّا وَلِيُّكُمْ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.

قال:

(إن آخر هذه الآية في علي بن أبي طالب (رضوان الله عليه) لأنه أعطى خاتمه سائلاً وهو راعٍ في الصلاة)<sup>(٢٦)</sup>.

وقد ذكر نزول هذه الآية المباركة في الإمام علي عليه السلام عدد كبير من كتب التفسير والحديث، تركنا التفصيل في ذلك لمن أراد الاستزادة بالرجوع إليها<sup>(٢٧)</sup>.

آية التبليغ:

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ

(٢٥) الزمخشري / تفسير الكشاف / سورة المائدة / الآية ٥٥.

(٢٦) الواحدي / أسباب النزول / سورة المائدة / الآية ٥٥.

(٢٧) راجع الفتح رقم (٤) للزبيد من المصادر.

رِسَالَتُهُ وَاللَّهُ يَخْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴿٣٨﴾.

(المائدة / ١٧)

وكان نزول هذه الآية في غدير خم، وفيما يلي بيان ذلك:

لما صدر رسول الله ﷺ من حجة الوداع<sup>(٣٩)</sup> نزلت عليه في الثامن عشر من ذي الحجة<sup>(٤٠)</sup> آية ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ...﴾.

فزل غدير خم من الجحفة<sup>(٤١)</sup> وكان يتشعب منها طريق المدينة ومصر والشام<sup>(٤٢)</sup> ووقف هناك حتى لحقه من بعده ورد من كان تقدم<sup>(٤٣)</sup> ونهى أصحابه عن سمرات متفرقات بالبطحاء أن ينزلوا تحتهم، ثم بعث اليهن فقم ما تحتهم من الشوك<sup>(٤٤)</sup> ونادى بالصلاة جامعة<sup>(٤٥)</sup>، فصلّى الظهر

(٣٨) روى المحاكم الحسيني في شواهد النزول / ج ١ / ص ١٩٠ / ط بيروت - عام ١٣٩٣ هـ ق:

(عن عبدالله بن أبي أوفى، قال: سمعت رسول الله يقول يوم غدير خم، وتلى هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ ثم رفع يديه حتى يرى بياض إبطيه، ثم قال: ألا من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه).

وروى الواحدى في أسباب النزول / ص ١٣٥، والسيوطى في الدر المنثور / ج ٢ / ص ١٩٨، عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية في عليّ بن أبي طالب: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾.

(٣٩) مجمع الزوائد / ج ٩ / ص ١٦٣ - ١٦٥.

(٤٠) رواء المحاكم الحسيني / ج ١ / ص ١٩٢ - ١٩٣.

(٤١) مجمع الزوائد / ج ٩ / ص ١٦٣ - ١٦٥، وابن كثير / ج ٥ / ص ٢٠٩ - ٢١٣.

(٤٢) مادة الجحفة من معجم البلدان.

(٤٣) تاريخ ابن كثير / ج ٥ / ص ٢١٣.

(٤٤) مجمع الزوائد، والسم: نوع من الشجر، وغريب منه لفظ ابن كثير / ج ٥ / ص

(٣٥) مسند أحمد / ج ٤ / ص ٢٨١، سنن ابن ماجه / باب فضل عليّ، وتاريخ ابن كثير /

بهجير<sup>(٣٦)</sup>، ثم قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، وذكر ووعظ وقال ما شاء الله أن يقول، ثم قال:

إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول وأنتم مسؤولون، فما أنتم قائلون؟

قالوا: نتمهد أنك بلغت ونصحت فجزاك الله خيراً.

قال: أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق.

قالوا: بلى نشهد ذلك.

قال: اللهم اشهد، ثم قال: ألا تسمعون؟

قالوا: نعم.

قال: يا أيها الناس إني فرط وأنتم واردون عليّ الحوض وإنّ عرضه ما بين بصرى إلى صنعاء<sup>(٣٧)</sup> فيه عدد النجوم قدحان من فضة، وأني سائلكم عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما.

فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟

قال: كتاب الله طرف بيد الله وطرف بأيديكم، فاستمسكوا به لا تضلّوا ولا تبدّلوا، وعترتي وأهل بيتي، وقد نبأني اللطيف الخبير أنّهما لن يتفرقا حقّ يردا عليّ الحوض، سألت ذلك لهما ربّي، فلا تقدموها فتهلكوا، ولا

→ ج ٥ / ص ٢٠٩ و ٢١٠.

(٣٦) مسند أحمد / ج ٤ / ص ٢٨١، سنن ابن ماجه / باب فضل عليّ، وابن كثير / ج

٥ / ص ٢١٢.

(٣٧) كانت بصرى اسم قرية بالقرب من دمشق وأخرى بالقرب من بغداد.



تقصروا عنها فتهلكوا، ولا تعلموها فهم أعلم منكم (٣٨).

ثم قال: أستم تعلمون أيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟

قالوا: بلى يا رسول الله! (٣٩).

قال: أستم تعلمون أو تشهدون أيّ أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟

قالوا: بلى يا رسول الله (٤٠).

ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب بضبعه فرفعها حتى نظر الناس إلى بياض  
ابططيمها (٤١)، ثم قال:

أيها الناس! الله مولاي وأنا مولاكم (٤٢)، فمن كنت مولاه فهذا عليّ  
مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه (٤٣) وانصر من نصره واخذل

(٣٨) مجمع الزوائد وبعض الفاظه في روايات المحاكم / ج ٣ / ص ١٠٩ - ١١٠، وابن

كثير / ج ٥ / ص ٢٠٩

(٣٩) مسند أحمد / ج ١ / ص ١١٨ و ١١٩، وج ٤ / ص ٢٨١، وسنن ابن ماجه / ج

١ / ص ٤٢ / ج ١٦٦، وورد «نعم» في مسند أحمد / ج ٤ / ص ٢٨١ و ٣٦٨ و ٣٧٠  
و ابن كثير / ج ٥ / ص ٢٠٩، ولدى ابن كثير / ج ٥ / ص ٢١٠: (أنتك أول  
بكل امرئ من نفسه).

(٤٠) مسند أحمد / ج ٤ / ص ٢٨١ و ٣٦٨ و ٣٧٠، وابن كثير / ج ٥ / ص

٢٠٩ و ٢١٢.

(٤١) في رواية للمحكم الحسكاني / ج ١ / ص ١٩٠، ورفع يديه حتى يرى بياض ابطيه،

وفي ص ٩٣ منه: حتى بان بياض ابطيمه، والضبع: عضد اليد كلها.

(٤٢) المحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل / ج ١ / ص ١٩١، وعند ابن كثير / ج ٥ /

ص ٢٠٩: وأنا مولى كلّ مؤمن.

(٤٣) مسند أحمد / ج ١ / ص ١١٨ و ١١٩، وج ٤ / ص ٢٨١ و ٣٧٠ و ٣٧٢ و ٣٧٣

وج ٥ / ص ٣٤٧ و ٣٧٠، ومستدرک المحاكم / ج ٢ / ص ١٠٩، وسنن ابن منجه والمحكم

من خذله <sup>(٤٤)</sup>، وأحب من أحبه وابغض من أبغضه <sup>(٤٥)</sup>.

ثم قال: اللهم اشهد <sup>(٤٦)</sup>.

ثم لم يتفرقا - رسول الله وعلي - حتى نزلت هذه الآية:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَبَيَّنْتُ مَا رَضِيتُمْ وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

فقال رسول الله ﷺ:

«الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة، ورضا الرب برسالي والولاية علي» <sup>(٤٧)</sup>.

وهناك آيات كثيرة تتحدث عن مقام أهل البيت عليهم السلام، وكراماتهم وعظمة شخصياتهم، وتخص بعضها أبا الشجرة الطاهرة، الإمام علياً عليه السلام، يجدها القارئ في كتب التفسير والمناقب والحديث والسير، وفي أبواب أسباب النزول، ومن هذه الآيات:

→ المسكاني / ج ١ / ص ١٩٠ و ١٩١، وتاريخ ابن كثير / ج ٥ / ص ٢٠٩ و ٢١٠ - ٢١٣. وتقال ابن كثير في ج ٥ / ص ٢٠٩: قلت لزيد هل سمعته من رسول الله؟ فقال: ما كان في اندوحات أحد إلا رآه وسمعه بأذنيه. ثم قال ابن كثير: قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي: وهذا حديث صحيح.

(٤٤) مسند أحمد / ج ١ / ص ١١٨ و ١١٩، ومجمع الزوائد / ج ٩ / ص ١٠٤ و ١٠٥ و ١٠٧، وشواهد التنزيل / ج ١ / ص ١٩٣، وتاريخ ابن كثير / ج ٥ / ص ٢١٠ و ٢١١. (٤٥) شواهد التنزيل للمسكاني / ج ١ / ص ١٩١، وتاريخ ابن كثير / ج ٥ / ص ٢١٠.

(٤٦) شواهد التنزيل / ج ١ / ص ١٩٠.

(٤٧) رواه المحاكم المسكاني عن أبي سعيد الخدري / ج ١ / ص ١٥٧ - ١٥٨ / ح ٢١١ و ٢١٢، وعن أبي هريرة / ص ١٥٨ / ح ٢١٢، وفي تاريخ ابن كثير / ج ٥ / ص ٢١٤ بإيجاز.

١ - قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ .  
(الرعد / ٧)  
فقد ورد أن رسول الله ﷺ وضع يده على صدره فقال:  
«أنا منذر، ولكل قوم هاد، وأوماً بيده إلى الإمام علي عليه السلام، فقال: أنت  
الهادي يا علي، بك مهتدي المهتدون يعدي» <sup>(٤٨)</sup>.

٢ - قوله تعالى:

﴿أَقْرَبُ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ﴾ .  
(السجدة / ١٨)  
إن المؤمن علي عليه السلام والفاسق الوليد بن عقبة <sup>(٤٩)</sup>.

٣ - قوله تعالى:

﴿أَقْرَبُ كَانَ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ .  
(هود / ١٧)  
إن الرسول ﷺ على بَيْتِهِ من أمره، وإن الشاهد هو الإمام علي عليه السلام <sup>(٥٠)</sup>.

٤ - قوله تعالى:

﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .  
(التحریم / ٤)  
إن صالح المؤمنين: علي بن أبي طالب عليه السلام <sup>(٥١)</sup>.

(٤٨) مصادر ذلك: مستدرک انصحيحين / ج ٣ / ص ١٢٩، وكنز العمال / ج ٦ / ص ١٥٧، وذكر ذلك الطبري في تفسيره، والفخر الرازي في تفسيره الكبير، والسيوطي في الدر المنثور في تفسير الآية المذكورة.

(٤٩) ذكر ذلك ابن جرير الطبري، والسيوطي في الدر المنثور، والنوحي في الكشف في تفسير الآية، والواحدي في أسباب النزول ص ٢٠٠، وتاريخ بغداد والرياض النضرة.

(٥٠) ذكر ذلك السيوطي في الدر المنثور، والفخر الرازي في تفسيره الكبير، في تفسير الآية المذكورة، كما ذكر ذلك المتقي الهندي في كنز العمال / ج ١ / ص ٢٥١.

(٥١) السيوطي في الدر المنثور في ذيل تفسير الابهة، وكنز العمال / ج ١ / ص ٢٣٧.

٥ - قوله تعالى :

﴿وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ .

(الحاقة / ١٢)

إنَّ رسول الله ﷺ قرأ الآية : ﴿وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ ثُمَّ التفت إلى علي عليه السلام فقال : «سألت الله أن يجعلها أذنك» .

فقال علي عليه السلام : «فما سمعت شيئاً من رسول الله ﷺ فنسيته» (٥٢١) .

ونقل الواحدي في أسباب النزول عن سلسلة من الرواة عن بريدة :

«إنَّ رسول الله ﷺ قال لعلي : إنَّ الله أمرني أن أدنيك ولا أقصيك . وأن أعلمك وتعي . وحقَّ على الله تعالى أن تعي . فنزلت : وتعيها أذن واعية» .

٦ - قوله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ .

(مرم / ٩٦)

إنَّ رسول الله ﷺ قال لعلي عليه السلام :

«يا علي قل : اللَّهُمَّ اجعل لي عندك عهداً ، واجعل لي في صدور المؤمنين مودةً ، فأنزل الله هذه الآية في علي عليه السلام» (٥٢٢) .

٧ - قوله تعالى :

→ والسفلاقي في فتح الباري / ج ١٣ / ص ٢٧ ، والمهيتمي في مجمعه / ج ٩ / ص ١٩٤ .

(٥٢١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره للآية . والزمخشري في تفسيره الكشاف . في

تفسيره للآية ، والمهيتمي في مجمعه / ج ٩ / ص ١٣٦ . والسيوطي في الدر المنثور في تفسيره للآية كذلك . وكثر الحال / ج ٦ / ص ٤٠٨ ، والواحدي في أسباب النزول .

(٥٢٢) ذكر ذلك الزمخشري في تفسير الكشاف ، والسيوطي في الدر المنثور في تفسير الآية

والمهيتمي في مجمعه / ج ٩ / ص ١٢٥ ، والرياض النظرة / ج ٢ / ص ٢٠٧ ، وابن حجر في

صواعقه / ص ١٠٢ .

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّ﴾.

(البينة / ٧)

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: يَا عَلِيُّ هُمْ أَنْتَ وَشِيعَتَكَ (٥٤).

٨- قوله تعالى:

﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَشْرِعِ الْحَرَامِ كَعَمَلِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ﴾.

(النوبة / ١٩)

إِنَّ هَؤُلَاءِ هُمُ الْعَبَّاسُ وَطَلْحَةُ، وَإِنَّ الَّذِي آمَنَ هُوَ عَلِيُّ عليه السلام (٥٥).

وهناك جملة من الآيات الأخرى لا يتسع بحث الكتاب لاحتوائها، نتركها  
لفرض الاجمال، ومن أراد المزيد فليراجعها في مظانها.

(٥٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره، والسيوطي في الدر المنثور بطرق مختلفة، وأضاف بأن أصحاب النبي ﷺ كانوا إذا أقبل عليهم عليّ عليه السلام قالوا: جاء خير البرية. وكذلك الصواعق المبرقة / ص ٩٦، والشبلنجي في نور الأبصار / ص ٧٠ و ١٠١.

(٥٥) ذكر ذلك الواحدي في أسباب النزول / ص ١٨٢، والطبري في تفسيره، والفخر الرازي في تفسيره، والسيوطي في الدر المنثور.

## أهل البيت عليهم السلام في السنة النبوية

من يستقري سنة رسول الله ﷺ وسيرته العملية وعلاقته بأهل بيته الذين نصّ عليهم القرآن وعرفهم هو عليه السلام، (عليّ وفاطمة وإبناهما) (٥٦) يعرف أنّ لأهل هذا البيت دوراً ومسؤولية رسالية وحضارية فريدة في تاريخ هذه الأمة، كان رسول الله ﷺ يخطط لها، ويعدّ الأمة لتقبلها بأمر من الله سبحانه.

لقد بدأ ذلك الفصل المضيء من التخطيط النبوي بأمر الله سبحانه لرسوله ﷺ بتزويجه فاطمة عليها السلام للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ولفرس هذه الشجرة المباركة، ولتتند فروعها في أفاق هذه الأمة عبر مسيرة تاريخها.

قال النبي ﷺ لعليّ عليه السلام حين زوجه فاطمة عليها السلام :

(إنّ الله أمرني أن أزوّجك فاطمة على أرمعانة مثقال فضة إن رضيت بذلك، فقال: قد رضيت بذلك يا رسول الله. قال أنس بن مالك: فقال النبي ﷺ : جمع الله شملكما، وأسعد جدكما، وبارك عليكما، وأخرج منكما كثيراً

---

(٥٦) رواه الطبراني في المعجم الكبير (مسند الإمام الحسن عليه السلام) / ج ١ / ص ١٢٥ / نسخة مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق، ونقله بالنص ذاته عن الطبراني الهيثمي في مجمع الزوائد / ج ٩ / ص ١٦٨، وذكره أيضاً الطبري في ذخائره / ص ٢٥، وقال عنه: أخرجه أحمد في المناقب وذكره انسوطي في إحياء الميت غريب تفسيره سورة «قل لا أمألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى». إذا قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم، قال ﷺ : «عليّ وفاطمة وولداهما»، كما ذكره ابن الصياغ المالكي / انفصول المهمة في أحوال الأئمة / ص ٢٩.

طَيِّبًا. قَالَ أَنَسُ: فَوَإِنَّهُ لَقَدْ أَخْرَجَ اللَّهُ مِنْهَا الْكَثِيرَ الطَّيِّبَ (٥٧).

وروي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا زَوَّجَ فَاطِمَةَ عَلِيًّا عليه السلام دَخَلَ عَلَيْهَا وَدَعَا بِهَا، فَآتَتْهُ أُمُّ آيْنٍ بِقَعَبٍ فِيهِ مَاءٌ فَجَّ فِيهِ، ثُمَّ أَنْضَحَ عَلَى رَأْسِهَا وَبَيْنَ ثَدْيَيْهَا وَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعِيذُهَا بِكَ وَذَرِيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ثُمَّ قَالَ لِعَلِي: آتِنِي بِمَاءٍ، فَآتَاهُ بِهِ فَتَضَحَّ مِنْهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَبَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعِيذُهَا بِكَ وَذَرِيَّتَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ».

وفي رواية فدعا بماء فتوضأ ثم أفرغه على علي وفاطمة، وقال: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهَا فِي نَسْلِهَا» (٥٨).

وقد كان رسول الله ﷺ يعتذر عن تزويج فاطمة كلها خطبها أحد من الصحابة ويقول:

«لَمْ يَنْزَلِ الْقَضَاءُ بَعْدَ» (٥٩).

إن هذه العناية الإلهية والنبوية بتزويج فاطمة من علي، فلا يتم الزواج إلا بأمر من الله لتدلّ دلالة واضحة على مكانة أهل البيت عليهم السلام، وما كان يستهدف الرسول ﷺ من وراء علاقته بهم من خير لهذه الأمة، المكانة التي فسرها القرآن الكريم - بآياته الواردة فيهم - والسنة النبوية الشريفة فيها بعد.

ولعلّ فيما تقتبس ونعرض من روايات وأحاديث عن رسول الله ﷺ في أهل البيت - وهي كثيرة - يوصلنا إلى اكتشاف العمق والغاية من هذه العناية

(٥٧) محب الدين الطبري / ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى / ص ٣٠.

(٥٨) عبدالله بن محمد بن عامر الشيرازي الشافعي / الاتحاف بمحب الاشراف / ص ٢٦

/ المطبعة الأدبية بمصر.

(٥٩) محب الدين الطبري / ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى / ص ٣٠.

الإلهية والنبوية في بناء هذا البيت، وإسباغ الحب والبركات والعناية عليه، ليكون أهل هذا البيت دليلاً للأمة في حيرتها، وسبباً لنجاتها في محنتها، ونظاماً ومحوراً لوقعتها في تفرقها، كما نصّت الروايات والأحاديث على ذلك.

إن الرسول يصف ذرية علي وفاطمة لنفسه، ويقول: انهم ذريتي وأبنائي، كما أوضح القرآن بذلك بقوله:

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾.

فكان أبناءه المنعوتون في هذه الآية هم الحسن والحسين كما عرفنا من أقوال المفسرين وأصحاب السير.

وقد أكد عليه السلام هذا المعنى مرات عديدة لأئمة، نذكر منها قوله عليه السلام: «إن الله جعل ذرية كل نبي في صلبه، وجعل ذريتي في صلب هذا، يعني علياً» (٦٠).

ولقد كان عليه السلام يختص الحسن والحسين ويقول: «كل ولد أب فإن عصبتهم لأبيهم، ما خلا ولد فاطمة فإنني أنا أبوهم وعصبتهم» أخرجه أحمد في المناقب (٦١).

(٦٠) الطبري / ذخائر العقبى / ص ٦٧.

(٦١) وقد أورد هذا الحديث مع اختلاف سير في لفظه الطبراني في المعجم الكبير / ج ١ / ص ٢٤ «نسخة مخطوطة»، وذكره أيضاً المتقي في كنز العمال / ج ٦ / ص ٢٢٠. ونصب الطبري في ذخائر العقبى / ص ١٢١، والسيوطي في أحياء الميت / ص ٢٩ بهذا اللفظ: «أخرج الطبراني عن عمر، قال رسول الله ﷺ: كل بني أبي فإن عصبته لأبيهم، ما خلا ولد فاطمة، فإنني عصبته وأنا أبوهم».



ولقد كان الرسول الكريم ﷺ في كل مناسبة يؤكد مقام أهل البيت عليهم السلام لترجع الأمة إليهم، وتلتزم بنهجهم، وتمسك بمنهجهم.

وفي روايات عديدة عن رسول الله ﷺ نجد أن أهل البيت هم المنجى لهذه الأمة، وأن رسول الله ﷺ يقرنهم بكتاب الله ويجعل دورهم العقائدي والرسالي في هذه الأمة ملازماً لكتاب الله، لا ينفك عنه، لتتجه الأمة إليهم في فهم القرآن الكريم، واستنباط معانيه وأحكامه.

وقد حفلت كتب الروايات والسير بالتص انبوي الكريم الذي سمي بحديث (الثقلين)، ورواه المسلمون بمختلف مذاهبهم السياسية والفقهية، وفيما يلي نذكره، ونذكر بعض أسانيده، كما نقلها الرواة، والمحدثون:

#### ١ - حديث الثقلين :

«إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين:

كتاب الله عز وجل، وعترتي.

كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض.

وعترتي أهل بيتي.

وإن اللطيف الخبير أخبرني أنها لن يفترقا، حتى يردا عليّ الحوض.

فانظروا يمّ تحلفوني فيها» (٦٢).

(٦٢) حديث الثقلين رواه الترمذي في صحيحه (مناقب أهل البيت) / ج ٢ / ص ٣٨٠ /

بسند عن زيد بن أرقم. وقال في آخر الحديث: هذا حديث حسن غريب. وأخرجه شعاع في مستدرک الصحيحين / ج ٣ / ص ١٠٩ / مروى بسند عن زيد بن أرقم أيضاً، وذكره أحمد بن حنبل في مسنده مرفوعاً عن أبي سعيد الخدري / ج ٣ / ص ١٧ / كما رواه الطبراني في المعجم الكبير / ج ١ / ص ١٢٩ / «نسخة مخطوطة» نقله المحب الطبري في ذخائره عن أحمد / ص ١٦.

وتقل الشبراوي الشافعي في كتابه (الاتحاف بحب الأشراف):

(وأخرج مسلم والترمذي وحسنه، والحاكم، واللفظ لمسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه، قال: قام فبنا رسول الله ﷺ خطيباً، فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال:

«أما بعد أيها الناس، إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين: أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به».

ثم قال: «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» (٦٣).

ثم نقل أيضاً: (وفي رواية: إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتموهما، كتاب الله وأهل بيتي، وفي رواية: لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما) (٦٤).

ثم ذكر أيضاً: (قال ابن حجر في الصواعق: سمى النبي ﷺ القرآن والعتره ثقلين، لأن الثقل كل نفس خطير مضنون به، وهذان كذلك إذ كل منهما معدن للعلوم الدينية والأسرار العقلية الشرعية، ولهذا حث على الافتداء بهما).

وقيل سمياً ثقلين ليقول وجوب رعاية حقوقهما، ثم الذي وقع عليه الحث منهم إنما هم العارفون بكتاب الله والمستمسكون بسنة رسوله. إذ هم الذين لا يفارقون الكتاب إلى الحوض) (٦٥).

وتقل العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي في تفسيره (آلاء الرحمن في

(٦٣) الشبراوي الشافعي / الاتحاف بحب الأشراف / ص ٢٢.

(٦٤) الشبراوي الشافعي / الاتحاف بحب الأشراف / ص ٢٢.

(٦٥) الشبراوي الشافعي / الاتحاف بحب الأشراف / ص ٢٢ - ٢٣.

تفسير القرآن) ما نصّه :

(وذلك كحديث الثقلين المتواتر القطعي الذي ذكره اخواننا من أهل السنة في كتبهم وأوردوا روايته عن الصحابة الذين سمعوه من رسول الله ﷺ :  
«إني تارك فيكم الثقلين أو الخليفين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا أبداً فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» .  
وهناك أسماء الصحابة السامعين لهذا الحديث عن رسول الله ﷺ :

- |  |                                  |
|--|----------------------------------|
| ١ - علي <small>عليه السلام</small> أمير المؤمنين . | ١٥ - أم سلمة .                   |
| ٢ - عبدالله بن عباس .                              | ١٦ - أم هاني أخت أمير المؤمنين   |
| ٣ - أبو ذر الغفاري .                               | علي <small>عليه السلام</small> . |
| ٤ - جابر الأنصاري .                                | ١٧ - خزيمة بن ثابت .             |
| ٥ - عبدالله بن عمر .                               | ١٨ - سهل بن سعد .                |
| ٦ - حذيفة بن أسيد .                                | ١٩ - عدي بن حاتم .               |
| ٧ - زيد بن أرقم .                                  | ٢٠ - عقبة بن عامر .              |
| ٨ - عبدالرحمن بن عوف .                             | ٢١ - أبو أيوب الأنصاري .         |
| ٩ - ضمرة الأسلمي .                                 | ٢٢ - أبو سعيد الخدري .           |
| ١٠ - عامر بن لبلى .                                | ٢٣ - أبو شريح الخزاعي .          |
| ١١ - أبو رافع .                                    | ٢٤ - أبو قدامة الأنصاري .        |
| ١٢ - أبو هريرة .                                   | ٢٥ - أبو لبلى .                  |
| ١٣ - عبدالله بن حنطب .                             | ٢٦ - أبو الهيثم بن التيهان .     |
| ١٤ - زيد بن ثابت .                                 |                                  |

وهؤلاء هم الذين ذكرنا أسماءهم من بعد أم هاني، قد رواه كل منهم منفرداً كمن تقدّمه، وقاموا في رحبة الكوفة مع سبعة من قریش فشهدوا أنهم سمعوه من رسول الله ﷺ ، فهؤلاء ثلاثة وثلاثون .

ورواه أبو نعير الأصفهاني في كتاب منقبة المطهرين مستنداً عن جبير بن مطعم، وأسنده أيضاً عن أنس بن مالك وعن البراء بن عازب، ورواه موفق ابن أحمد أخطب خوارزم عن عمرو بن العاص.

وقلّ ما يخلو من رواية هذا الحديث مستند أو جامع أو كتاب في الفضائل لأهل السنة، من أوّل ما أخرج الحديث من الحفظ وصدور الحفاظ إلى صحف المحدثين، ولا زال يُروى فيها عن صحابي واحد أو أكثر، وربما روي في واحد منها عن أكثر من عشرين صحابياً، إما مجعلاً كما في الصواعق، وإما مستنداً مفصلاً كما في كتب السخاوي والسيوطي والسهودي وغيرهم).

ثم قال:

(رواه الإمامية في كتبهم بأسانيدهم المتكررة عن الباقر عليه السلام، والرضا عليه السلام، والكاظم عليه السلام، والصادق عليه السلام، عن آبائهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبالأسانيد الأخر عن أمير المؤمنين عليه السلام، وعمر، وأبي، وجابر، وأبي سعيد، وزيد بن أرقم، وزيد بن ثابت، وحذيفة بن أسيد، وأبي هريرة، وغيرهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) (٣٦٦).

(٦٦) البلاغي / آلاء الرحمن / ص ٤٤.

وتقل العلامة الفيروزآبادي: أنّ حديث انفلقين رواه مسلم في صحيحه، وأحمد بن حنبل في مستند، ج ٤ / ص ٣٦٦. والبيهقي في سننه / ج ٢ / ص ١٤٨، وج ٧ / ص ٣٠، ورواه الدارمي في سننه / ج ٢ / ص ٤٣١، والمتقي في كنز العمال / ج ١ / ص ٤٥ وج ٧ / ص ١٠٢، ورواه الطحاوي في مشكل الآثار / ج ٤ / ص ٣٦٨، ورواه الترمذي في صحيحه / ج ٢ / ص ٣٠٨، ورواه ابن الأثير الجزري في أسد الغابة / ج ٢ / ص ١٢، ورواه السيوطي في الدر المنثور في ذيل تفسير آية المودة في سورة الشورى، وروي في مستدرک الصحيحين / ج ٣ / ص ١٠٩، ورواه النسائي في خصائصه / ص ٢١، وفي مستدرک الصحيحين أيضاً / ج ٣ / ص ١٤٨.

وفي مسند أحمد بن حنبل، روى بسنده عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

«إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وأن اللطيف الخبير أخبرني أنها لن يفرقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا ثم تخلفوني فيها» (٦٧).

وهكذا نجد هذا التواتر اللفظي والمعنوي في نقل هذه الرواية التي تقرن أهل البيت عليهم السلام بكتاب الله، من ذلك يفهم المسلمون أن أهل البيت عليهم السلام هم المرجع بعد كتاب الله وهم الأمناء عليه حتى يردا الحوض.

## ٢ - حديث السفينة :

وإذا كان حديث الثقلين يضع أهل البيت عليهم السلام إلى جانب القرآن لما لهم من وظيفة بيان القرآن والكشف عن غوامضه وأسراره ومحتواه والحفاظ عليه، فإن حديث السفينة يوضح للأمة أن أهل البيت عليهم السلام هم سفينة النجاة، ومصدر الخلاص لهذه الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لذا فإن عدم الالتحاق بهذه السفينة، وعدم الركوب فيها سيؤدي المتخلفين عنها إلى الفرق والهلاك، فإن التخلف عنهم تخلف عن القادة إلى شاطئ الهدى والنجاة.

نقل الشبراوي الشافعي عن رافع مولى أبي ذر، قال :

(صعد أبو ذر رضي الله عنه على عتبة باب الكعبة وأخذ بحلقة الباب واستظهره إليه، وقال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن أنكرني فأنا أبو ذر، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول :

«أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها زج في النار». وسمعت رسول الله يقول:

«اجعلوا آل بيتي منكم مكان الرأس من الجسد، ومكان العينين من الرأس، فإن الجسد لا يهتدي إلا بالرأس، ولا يهتدي الرأس إلا بالعينين» (٦٨).

وروى أبو تعيم<sup>(٦٩)</sup> بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: (قال رسول الله ﷺ:

«مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق» (٧٠).

روى بسنده عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنما مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق» (٧١).

(٦٨) الشراوي النافعي / الاتعاف بحب الاشراف / مقدمة المؤلف / ص ٢٦.

(٦٩) أبو نعيم / حلية الأولياء / ج ٤ / ص ٣٠٦، نفلًا عن الفيروزآبادي / فضائل الخمسة من الصحاح السنة / ج ٢ / ص ٦٤، ذكره ابن حجر في زوائد مستند البزار / باب أهل البيت والأرواح / ص ٢٧٧، ونقله الهيثمي عن ابن البزار في مجمع الزوائد / ج ٩ / ص ١٦٣، كما رواه الطبراني في المعجم الكبير / ج ١ / ص ١٢٥ / (مسند الإمام الحسن عليه السلام) / في نسخة مخطوطة بالظاهرية بدمشق، ورواه الحب الطبري، في ذخائره / ص ٢٠، ورواه الحاكم في المستدرک مع زيادة في أفاضه / ج ٢ / ص ٣٤٣، ونقله المنقي في كنز العمال / ج ٦ / ص ٢١٦.

(٧٠) روى هذا الحديث الحاكم في مستدرک الصحيحين / ج ٢ / ص ٣٤٣، وقال: هذا الحديث صحيح على شرط مسلم. ورواه المنقي في كنز العمال / ج ٦ / ص ٢١٦، والهيثمي في مجمعه / ج ٩ / ص ١٦٨، ورواه محب الدين الطبري في ذخائره / ص ٢٠، ورواه الخطيب البغدادي في تاريخه / ج ١٢ / ص ١٩.

(٧١) الفيروزآبادي / فضائل الخمسة / ج ٢ / ص ٦٤.

ورواه السيوطي في الدر المنثور في ذيل تفسير قوله تعالى:  
 ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وادْخُلُوا  
 الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرَ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾. (البقرة / ٥٨)

قال: وأخرج ابن أبي شيبة عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال:  
 «إنما مثلنا في هذه الأمة كسفينة نوح وكتاب حطة» (٧٢).

ورواه المتقي في كنز العمال (ج ٦ / ص ٢١٦)، ولفظه:  
 «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركب فيها نجا، ومن تخلف  
 عنها هلك، ومثل باب حطة في بني إسرائيل، وقال: أخرجه الطبراني عن أبي  
 ذر» (٧٣).

### ٣ - حديث الأمان من الاختلاف :

في هذا الحديث يوضح رسول الهدى محمد صلى الله عليه وآله دور أهل البيت  
 العقائدي والسياسي، فإن أخطر ما يصيب الأمة هو الفرقة والخلاف في الرأي  
 والمعتقد والاتجاه السياسي، ولقد كان الرسول صلى الله عليه وآله يبغي على أمته من  
 هذه الفتنة، وكان يخطط لوحدها وتماسكها الفكري والسياسي، ويوجه إلى  
 الالتزام والتمسك بأهل بيته والرجوع إليهم، لذا وصفهم بأنهم ملازمون  
 للقرآن ودعوته، ولا يفارقونه إلى يوم القيامة، وبأنهم سفينة النجاة وباب  
 حطة.

وهنا يصفهم الرسول صلى الله عليه وآله بأنهم الإطار الجامع، والمحور الموحد لهذه  
 الأمة، وأن التمسك بهم، والسير على نهجهم، ضمان من الفرقة والخلاف.

(٧٢) الفيروزآبادي / فضائل الخمسة / ج ٢ / ص ٦٥.

(٧٣) الفيروزآبادي / فضائل الخمسة / ج ٢ / ص ٦٥.

أخرج الطبراني عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن النبي ﷺ قال: «النجوم أمان لأهل الأرض من العرق، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض من الاختلاف» (٧٤).

وروى محمد بن النضر الطبري عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «النجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض».

قال: أخرجه أحمد بن حنبل في المناقب (٧٥).

#### ٤ - حديث الكساء :

وحديث الكساء (\*) هو الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ في (علي وفاطمة والحسن والحسين عليهما السلام)، عند نزول آية التطهير، وقد سبق وأن تحدثنا عن ذلك، وأوردنا آراء بعض المفسرين والروايات الواردة في هؤلاء المطهرين في بحث (أهل البيت في القرآن)، ونعود هنا فنورد روايات أخرى لتعزيز الفكرة، وتعميق الغاية التي توخاها رسول الهدى ﷺ من وراء ذلك.

وطريق هذا الحديث وأسانيده كثيرة في كتب الحديث والرواية والتفسير نذكر منها:

(٧٤) الشراوي الشافعي / الاتحاف بمحب الأشراف / ص ٢٠، أخرجه الحاكم في مستدرك الصحيحين / ج ٣ / ص ١٤٩، وقال عنه هذا حديث صحيح الاستناد ولم يخرج، كما أورده المتقي في كنز العمال / ج ٦ / ص ٢٦٧، وذكره ابن حجر في صواعقه وصححه / ص ١٤٠.

(٧٥) الفيروزآبادي / فضائل الخمسة / ج ٢ / ص ٦٨.

(\*) سمي حديث الكساء لأن رسول الله ﷺ جمع أهل بيته الأربعة وجللهم بكسائه.



(وأما ما روي عن أم سلمة زوجة النبي ﷺ (رضي الله عنها)، فروى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده يرفعه إلى أم سلمة قالت: بينما رسول الله ﷺ في بيتي يوماً إذ قال الخادم إن علياً وفاطمة بالسدة، قالت: فقال لي النبي: قومي، تتعني عن أهل بيتي، قالت: فقممت ففتنحت في جانب البيت قريباً فدخل علي وفاطمة والحسن والحسين وهما صبيان صغيران، فأخذ الحسن والحسين فوضعهما في حجره وقبلهما واعتنق علياً بإحدى يديه وفاطمة باليد الأخرى وجللهم بخبيصة (\*) سوداء، وقال:

«اللهم إليك لا إلى النار، أنا وأهل بيتي، قالت أم سلمة: وأنا يا رسول الله، فقال ﷺ: وأنت! (\*\*)».

وروى الواحد في كتابه المسمى بأسباب الغزول يرفعه بسنده إلى أم سلمة (رضي الله عنها) أنها قالت: كان النبي ﷺ في بيتها يوماً فأنته فاطمة عليها السلام بمرمة فيها عصيدة فدخلت بها عليه، فقال لها: ادعي لي زوجك وابنتك، فجاء علي والحسن والحسين فدخلوا وجلسوا يأكلون والنبي ﷺ جالساً على دكته، وتحت كساء خيري، قالت: وأنا في الحجرة قريباً منهم، فأخذ النبي ﷺ الكساء، ففشاها به ثم قال:

«اللهم أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

قالت: فأدخلت رأسي، قلت: وأنا معكم يا رسول الله، قال ﷺ: إنك إلى خير، إنك إلى خير، فأنزل الله عز وجل:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (٧٦).

(\*) الخبيصة: كساء أسود مرتفع له علمان.

(\*\*) يعني بقوله ﷺ: وأنت! نسبت إلى النار.

(٧٦) ابن الصباغ المالكي / الفصول المهمة في أحوال الأئمة / ص ٢٥ - ٢٦.

## ٥ - حديث المودة :

وحديث المودة قد تحدثنا عنه عند تفسير آية المودة أيضاً؛ وذكرنا بعض رواته وأسانيده، ونعود هنا أيضاً فنذكره مرة أخرى. كما أنّ من المفيد أن نذكر بعض ما ورد عن النبي ﷺ في حبّ أهل بيته ومودّتهم من روايات وأحاديث أخرى.

(أخرج الإمام أحمد والطبراني والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت هذه الآية :

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾. (الشورى / ٢٣)

قالوا: يا رسول الله من قربتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ فقال رسول الله ﷺ :

«عليّ وفاطمة وابنائها».

وروى العزاز والطبراني أن الحسن بن علي رضي الله عنهما خطب يوماً فقال :

«من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد رضي الله عنهما. أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن آل البيت الذين افترض الله مودّتهم على كل مسلم، وأنزل فيهم: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾، فاقتراف الحسنات مودّتنا أهل البيت» (٧٧).

(وروى السدي عن أبي مالك عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾.

قال: المودة لآل محمد ﷺ ) (٧٨).

(٧٧) الشيخ الشبراوي الشافعي / الاتحاف بحب الانساب / ص ١٧ - ١٨.

(٧٨) ابن الصباغ المالكي / الفصول المهمة في أحوال الأنفة / ص ٢٩.

والأحاديث الواردة في مودة أهل البيت وحبهم وطاعتهم والالتزام بهم لا يمكن إحصاؤها في هذا الكتاب وإنّا اخترنا بعضاً منها وكلها شמוש مضيئة في كتب الحديث والرواية، ولغرض زيادة ثروة القارئ نذكر بعضاً من الأحاديث الواردة فيهم:

(أخرج الطبراني في الأوسط عن ابن حجر رضي الله عنه، قال: آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ: «أخلفوني في أهل بيتي» (٧٩).

(أخرج الطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: خطبنا رسول الله ﷺ فسمعته وهو يقول:

«أيها الناس من أبغضنا أهل البيت حشره الله تعالى يوم القيامة يهودياً» (٨٠).

(أخرج مسلم والترمذي والنسائي عن زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ قال: «أذكركم الله في أهل بيتي» (٨١).

(٧٩) رواه السيوطي في إحياء الميت نقلاً عن الطبراني في الأوسط بسنده عن ابن عمر / ص ٢٠، كما أخرجه المنيني في مجمع الزوائد / ج ٩ / ص ١٦٣، كما أورده ابن حجر في الصواعق المرفقة / ص ٩٠.

(٨٠) أورده السيوطي في إحياء الميت نقلاً عن الطبراني بسنده عن جابر بن عبد الله / ص ٢٢، كما ذكره المنيني في مجمع الزوائد / ج ٩ / ص ١٧٢، نقلاً عن الأوسط للطبراني.

(٨١) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة في باب فضائل علي بن أبي طالب بسنده عن يزيد بن حسان بزيادة في ألفاظه / ج ٤ / من الصحيح / ص ١٨٧٣، ورواه أحمد بن حنبل في مسنده وفق ما رواه مسلم / ج ٤ / ص ٣٦٦ - ٣٦٧، كما رواه المنيني في كنز العمال في الجزء الأول / ص ١٤٨، وفي الجزء السابع / ص ١٠٢، وأورده السيوطي أيضاً في تفسيره الدر المنثور / ج ٦ / ص ٧، وقال عنه: أخرجه مسلم والترمذي والنسائي عن زيد بن أرقم، ورواه السيوطي أيضاً في كتابه إحياء الميت / ص ١١.

(أخرج الخطيب في تاريخه عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ :  
«شفاعتي لأمتي من أحب أهل بيتي» (٨٢).

## ٦- روايات أخرى :

كما أوضحنا فإن الأحاديث والروايات الواردة عن رسول الله ﷺ في أهل بيته كثيرة، ولا يمكن احصاؤها في هذا الكتاب، فقد أورد لها العلما والمحدثون الكتب أو الفصول في كتب الحديث، أو ذكروها في الموارد المناسبة من التفسير وكتب الرواية، نذكر منها:

«نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد» (٨٣).

فهو في هذا الحديث الشريف يوضح مقام أهل البيت عليهم السلام السامي، وموقفهم الفريد، ليعرف الأمة بكنائهم، ويرشدها إلى التمسك بهم، والالتزام بعده بنهجهم وليوازن بينهم وبين غيرهم.

وفي حديث آخر يتحدث الرسول ﷺ عن أهل بيته، فيقول:

«إنما أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون بعدي أثره وشدة وتطريد في البلاد، حتى يأتي قوم من ها هنا - وأشار بيده نحو المشرق - أصحاب رايات سود فيسألون الحق فلا يعطونه، فيقاتلون فينتصرون، ويعطون ما شاؤوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي، فيملؤها عدلاً كما ملئت ظلماً، فن أدرك ذلك قلباًتهم ولو حبواً على

(٨٢) رَوَاهُ الْخَطِيبُ فِي تَارِيخِهِ / ج ٢ / ص ١٤٦ بزيادة على المتن، كما أورد الحديث المتفق في كثير المجلد / ج ٦ / ص ٢١٧ / تحت رقم ٣٨٠٠، ورواه السيوطي في أحياء الميت فضائل أهل البيت / ص ٣٧.

(٨٣) الطبري / ذخائر العقبى / ص ١٧.

التلويح» (٨٤).

(وأخرج الديلمي عن أبي سعيد رضي الله عنه . قال: قال رسول الله ﷺ :

«إشتد غضب الله علي من آذاني في عتري» (٨٥).

(عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :

«أدبوا أولادكم على ثلاث خصال:

حب نبيكم.

وحب أهل بيته.

وعلى قراءة القرآن. فإن حملة القرآن في ظل الله، يوم لا ظل إلا ظله، مع

أنبيائه وأصفياه» (٨٦).

(أخرج الطبراني عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ :

«لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع:

عن عمره فيم أفناه.

وعن جسده فيم أبلاه.

وعن ماله فيم أنفقه ومن أين أكتسبه.

وعن محبتنا أهل البيت» (٨٧).

(٨٤) المصدر السابق / ص ١٧.

(٨٥) أخرجه السيوطي في إحياء الميت تفلأ عن الديلمي بسنده عن أبي سعيد /

ص ٤٣، وذكره المناوي في فيض القدير / ج ١ / ص ٥١٥، وقال عنه: أخرجه الديلمي في الفردوس.

(٨٦) رواه السيوطي في إحياء الميت / ص ٤٠ - ٤١، وقال: أخرجه الديلمي عن علي،

كما ذكره السي في كنز العمال / ج ٨ / ص ٢٧٨، كما ذكره ابن حجر في صواعقه المحرقة / ص ١٠٣.

(٨٧) رواه السيوطي في إحياء الميت / ص ٣٩، تفلأ عن الطبراني بسنده عن ابن عباس.

وفي رواية يرشد رسول الله ﷺ أئنته إلى أهل بيته ويوضح مقامهم العلمي، ويوجهها نحوهم إذا اشتدت الفتن وتضاربت الآراء، فيقرنهم بكتاب الله لأنهم العلماء المفصِّحون عن مضمون القرآن، والعارفون بحقيقته ومحتواه. (أخرج الطبراني عن المطلب بن عبدالله بن حنطب عن أبيه، قال: خطبنا رسول الله ﷺ بالجحفة، فقال:

«ألسْتُ أولى بكم من أنفسكم، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فبائي سائلكم عن اثنين: عن القرآن وأهل بيتي» (٨٨).

---

→ وقد ذكره الملقني في كنز العمال / ج ٨ / ص ٢١٢، وقال: نقله الطبراني عن ابن عباس ثم ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد / ج ١٠ / ص ٣٤٦. وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط.

(٨٨) رواه السيوطي في أحياء الميت نقلاً عن الطبراني بسنده عن المطلب بن عبدالله عن أبيه / ص ٣٨. كما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد / ج ٥ / ص ١٩٥، ورواه أيضاً ابن الأثير في أسد الغابة / ج ٢ / ص ١٣٧، ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء / ج ٩ / ص ٦٤، بسنده عن علي عليه السلام.

## القرآن الكريم عند علماء مدرسة أهل البيت عليه السلام

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ . (الحجر / ٩)

القرآن كتاب الله ووحيه المنزل على نبيه الكريم محمد بن عبدالله ﷺ ،  
الذي صانه الله من التشويه والتحريف ، وهذا الوحي الإلهي المقدس الذي لم  
تمسه يد التحريف ، لا يأتيه الباطل من خلقه ولا من بين يديه ، هو اليوم كما  
هبط على رسوله الأمين من غير نقص أو زيادة .

وهو مصدر الشريعة ، ومادة التشريع ، وميزان المسنة ، ومقياس الفهم  
والتفكير ، ومنبع الحضارة والمعرفة الإسلامية ، ومصدر خير الإنسانية  
وسعادتها .

لقد تداول المسلمون هذا الوحي الإلهي جيلاً بعد جيل ، نقلوه بدقة وأمانة  
كما بلغه جبريل عليه السلام للنبي الأمين ﷺ ، وذلك ما أجمع عليه المسلمون ، كما  
أجمعوا على تكذيب الروايات الضعيفة والمندوسة التي تخالف هذا الإجماع .  
قال المفسر الكبير صاحب تفسير (مجمع البيان في تفسير القرآن) العلامة  
الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي<sup>(١)</sup> (أعل الله مقامه) ، الذي يحتبر  
تفسيره مصدراً ومرجعاً للعلماء والمفسرين :

---

(١) الشيخ الطبرسي من أعلام المفسرين وأكابر علماء الشيعة الامامية في القرن  
السادس الهجري .

(ومن ذلك الكلام في زيادة القرآن ونقصانه، فإنه لا يليق بالتفسير، فأما الزيادة فيه فجمع على بطلانه، وأما النقصان منه، فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة أن في القرآن تغييراً أو نقصاناً، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه. وهو الذي نصره المرتضى (\*) (قدس الله روحه)، واستوفى الكلام فيه غابة الاستيفاء في جواب المسائل الطرابلسيات، وذكر في مواضع أن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان، والحوادث الكبار، والوقائع العظام، والكتب المشهورة، وأشعار العرب المسطورة، فإن العناية اشتدت والدواعي توفرت على نقله وحراسه، وبلغت إلى حد لم يبلغه فيما ذكرناه، لأن القرآن معجزة النبوة، ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيراً أو منقوصاً مع العناية الفائقة والضبط الشديد.

وقال أيضاً (قدس الله روحه): إن العلم بتفسير القرآن وأبعاضه في صحة نقله كالعلم بجملته، وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنفة ككتاب سيبويه والمزني، فإن أهل العناية بهذا الشأن يعلمون من تفصيلها ما يعلمونه من جملتها حتى لو أن مدخلاً أدخل في كتاب سيبويه باباً في النحو ليس من الكتاب لعرف وميز وعلم أنه ملحق وليس من أصل الكتاب، وكذلك القول في كتاب المزني. ومعلوم أن العناية بنقل القرآن وضبطه أصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه ودواوين الشعراء.

وذكر أيضاً عليه السلام أن القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعاً

(\*) السيد المرتضى: هو علي بن الحسين، وهو أحد أعظم علماء الشيعة الإمامية في القرن الرابع الهجري. وهو تلميذ الشيخ المفيد واستاذ الشيخ الطوسي. مؤسس جامعة النجف الاشرف. توفي عام (٤٣٦ هـ).



مؤلفاً على ما هو عليه الآن، واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان حتى عين على جماعة من الصحابة في حفظهم له، وأنه كان يعرض على النبي ﷺ ويتلى عليه وأن جماعة من الصحابة، مثل عبدالله بن مسعود، وأبي بن كعب، وغيرهما ختموا القرآن على النبي ﷺ عدة ختمات، وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبثوث، وذكر أن من خالف في ذلك من الإمامية والمحسوية لا يعتد بخلافهم، فإن الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها لا يرجع بثبوتها عن المعلوم المقطوع على صحته (٨٩).

ثم قال:

(إن المشهور بين علماء الشيعة ومحققيه، بل المتسالم عليه بينهم هو القول بعدم التحريف) (٩٠).

وقال شيخ المحدثين محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الملقب بالصدوق (ت ٣٨١ هـ) مؤلف كتاب من لا يحضره الفقيه، وعشرات الكتب القيمة، في رسالته المعروفة باعتقادات الصدوق:

(إعتقادنا في القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك - إلى أن قال - ومن نسب إلينا أننا نقول أنه أكثر من ذلك فهو كاذب، ثم شرع في إقامة البرهان على ذلك، فراجع قام كلامه) (٩١).

(٨٩) الشيخ الطبرسي / مجمع البيان في تفسير القرآن / مقدمة التفسير / باب الثمن

الخامس.

(٩٠) الطبرسي / مجمع البيان / مقدمة التفسير / باب الثمن الخامس.

(٩١) الشيخ لطف الله الصافي / مع الخطيب في خطوطه العريضة / ص ٤٢.

وقال شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) مؤلف كتاب الخلاف والميسوط، والتهذيب، والاستبصار وغيرها في تفسيره المسمى بالتيبان (٩٢):

(أما الكلام في زيادته ونقصانه فما لا يليق به أيضاً لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها، والنقصان منه فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبا، وهو الذي نصره المرتضى عليه السلام، وهو الظاهر في الروايات - إلى أن قال - ورواياتنا متناصرة بالحث على قراءته، والتمسك بما فيه، ورد ما يرد من اختلاف الأخبار في الفروع إليه، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله رواية لا يدفعها أحد، أنه قال:

«إني مخلف فيكم الثقلين، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

وهذا يدل على أنه موجود في كل عصر، لأنه لا يجوز أن يأمر بالتمسك بما لا تقدر على التمسك به، كما أن أهل البيت، ومن يجب اتباع قوله حاصل في كل وقت، وإذا كان الموجود بيننا مجمعاً على صحته فينبغي أن نتشاكل بتفسيره، وبيان معانيه، ونترك ما سواه).

ودون العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي في تفسيره (آلاء الرحمن في تفسير القرآن) هذه الحقيقة الكبرى، خلود القرآن وسلامته من التحريف والتزييف.

قال أعلى الله مقامه:

(فاستمر القرآن على هذا الاحتفال العظيم بين المسلمين جيلاً بعد جيل، ترى له في كل آن الوفاء مؤلفة من المصاحف وألوفاً من الحفاظ ولا تزال

المصاحف ينسخ بعضها على بعض، والمسلمون يقرأ بعضهم على بعض ويسمع بعضهم من بعض، تكون ألوف المصاحف رقيقة على الحفاظ، وألوف الحفاظ رقاء على المصاحف، وتكون الألوف من كلا القسمين رقيقة على المتجدد منها، نقول الألوف ولكنها مئات الألوف وألوف الألوف، فلم يتفق لأمر تاريخي من التواتر وبداعة البقاء مثل ما اتفق للقرآن الكريم، كما وعد الله جلّت آلاؤه بقوله في سورة الحجر:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ .

وقوله في سورة القيامة:

﴿إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ﴾ .

ولئن سمعت في الروايات الشاذة شيئاً في تحريف القرآن وضياح بعضه فلا تقم لتلك الروايات وزناً، وقل ما يشاء العلم في اضطرابها ووهنها وضعف روايتها ومخالفتها للمسلمين، وفيما جاءت به في مروياتها الواهية من الوهن (٩٣). ونقل في تفسيره أيضاً تحت عنوان: (قول الامامية بعدم النقص في القرآن): (ولا يخفى أن شيخ المحدثين المعروف بالاعتناء بما يروي وهو الصدوق (طاب ثراه)، قال في كتاب الاعتقاد: إعتقادنا أن القرآن الذي أنزله الله على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم هو ما بين الدفتين وليس بأكثر من ذلك، ومن نسب إلينا أننا نقول أنه أكثر من ذلك فهو كاذب).

وفي أواخر فصل الخطاب من كتاب المقالات للشيخ المفيد رحمته الله أنه قال جماعة من أهل الإمامة أنه (أي القرآن) لم ينقص من كلمة ولا من آية ولا من سورة، ولكن حذف ما كان مثبتاً في من مصحف أمير المؤمنين عليه السلام فأويله وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله.

وفي كشف الغطاء في كتاب القرآن، المبحث الثامن، في نقضه: لا ريب أنه محفوظ من النقصان بحفظ الملك الديان، كما دلّ عليه صريح القرآن. وإجماع العلماء.

وعن الشيخ البهائي: وأيضاً اختلفوا في وقوع الزيادة والنقصان فيه، والصحيح أن القرآن العظيم محفوظ عن ذلك، زيادة كان ونقصاناً، ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمُهَافِظُونَ﴾.

وعن المقدّس البغدادي في شرح الوافية:

(وأما الكلام في النقيصة المعروف بين أصحابنا حتى حكى عليه الإجماع عدم النقيصة أيضاً. وعنه أيضاً عن الشيخ علي بن عبد العالي أنه صنف في نفي النقيصة من الأحاديث، وأجاب، بأن الحديث إذا جاء على خلاف الدليل من الكتاب والسنة المتواترة أو الإجماع، ولم يكن تأويله، ولا حملة على بعض الوجوه وجب طرحه) (٩٤).

وقال العلامة المغفور له المجاهد المعاصر الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء في كتابه (أصل الشيعة وأصولها):

(إن الكتاب الموجود بين المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله إليه - رسول الله - للإعجاز والتحدّي، وإنه لا تنقص فيه ولا تحريف ولا زيادة وعلى هذا إجماعهم).

وقال الشريف المصلح السيد عبد الحسين شرف الدين في الفصول المهمة في تأليف الأمة:

(والقرآن الحكيم لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، إنما هو ما بين الدفتين. وهو ما في أيدي الناس لا يزيد حرفاً ولا ينقص حرفاً، ولا

تبدل فيه لكلمة بكلمة، ولا لحرف بحرف، وكل حرف من حروفه متواتر في كل جيل تواتراً قطعياً إلى عهد الوحي والنبوة، وكان مجمعاً على ذلك العهد الأقدس، مؤلفاً على ما هو عليه الآن، وكان جبرئيل عليه السلام يعارض رسول الله صلى الله عليه وآله مراراً عديدة، وهذا كله من الأمور المعلومة لدى المحققين من علماء الإمامية ولا عبرة بالخشوية فإنهم لا يفقهون).

وقال العالم المتبوع، والرجل الكبير السيد محسن الأمين الحسيني العاملي في أعيان الشيعة:

(لا يقول أحد من الإمامية لا قديماً ولا حديثاً، أن القرآن مزيد فيه قليل أو كثير، فضلاً عن كلهم، بل كلهم متفقون على عدم الزيادة، ومن يعتد بقوله من محققهم متفقون على أنه لم ينقص منه).

هذا هو القرآن والنظرة إليه في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فهو الآن بين يدي المسلمين كما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وهو باق ما بقي الإنسان على سطح هذه الأرض يضيء للبشرية درب الحياة، ويأخذ بيدها إلى حيث الهدى والرشاد.

ويرى العلماء والباحثون والمحققون أن ما يتدواله البعض من روايات وأقاويل تتحدث عن تقيصة القرآن في إطار السنة والشيعة إن هو إلا وضع ودس من قبل الكذابين والمفوضين عند أهل العلم والندرية.

كما أن هناك روايات قد يفهم من ظاهرها دون الدقة في القراءة والفهم ما يؤدي إلى القول بنقص القرآن أو وجود مصحف آخر كما أشتبه الأمر فيها على بعض الأشخاص واستغلّه مغرضون ومسيئون للإسلام، وهي ما ورد في بعض الأخبار التي تروى عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، ويقص النظر عن صحة الرواية وعدمها، من أنه قال:

«... ولكن والله - وأهوى بيده إلى صدره - إن عندنا سلاح رسول الله ﷺ وسيفه ودرعه، وعندناه والله مصحف فاطمة، ما فيه آية من كتاب الله، وإنه لإمام (من إمام) رسول الله وخطه علي بيده» (٩٥).

لقد توهّم البعض من الناس أن الإمام الصادق - وحاشاه من ذلك - يخبر بوجود مصحف (قرآن) غير هذا القرآن، فصار في أفواه البعض بوقاً للفس والتشويه.

إن دراسة ما ورد في الخبر واضحة لأبسط الناس الذين هم معرفة باللغة. فالإمام الصادق عليه السلام يقول: «عندنا والله مصحف فاطمة». إن العودة إلى كلمة (مصحف) في لغة العرب تجعلنا نفهم معنى قول الإمام الصادق عليه السلام.

قال الراغب الأصفهاني:

(الصحيقة: الميسوط من الشيء، كصحيقة الوجه، وانصحيقة التي يكتب فيها وجمعها صحائف ومصحف، قال تعالى:

﴿صُحُفْ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ.

قيل أريد بها القرآن وجعله صحفاً فيها كتب من أجل تضمنه لزيادة ما في كتب الله.

والمصحف ما جعل جامعاً للمصحف المكتوبة وجمعه مصاحف) (٩٦).

وإذن فكلمة مصحف تعني بمصطلحنا الحاضر انكتاب، وليس هو اسماً خاصاً لكتاب الله، فهو اسم لكل كتاب يجمع صحفاً (أوراقاً أو جنداً)، وسمي

(٩٥) العلامة المجلسي / بحار الأنوار / ج ٤٧ / ص ٢٧١ / ط ٣، نقلاً عن بصائر

الدرجات.

(٩٦) انراقب الأصفهاني / معجم مفردات ألفاظ القرآن / مادة مصحف.

القرآن مصحفاً لأنه جامع لصحف.

فأسماء كتاب الله هي: القرآن، الذكر، الفرقان، الكتاب (٩٧)، ولم يسمه الوحي مصحفاً، بل سماء المسلمون حين جمعوه (بالمصحف)، لأنه أصبح بعد جمعه مجموعة من الصحف.

وإذن فصدر الخلط هو القضية الاصطلاحية والاستعمال اللفظي في ذلك العصر الذي لم يكن يبادر منه المعنى المتبادر لدى الناس في هذا العصر. ثم يوضح الإمام معنى هذا المصحف ليرفع الاشتباه المحتمل، فيقول: (ليس فيه آية من كتاب الله).

أي هو ليس قرآناً، ولا من القرآن، وليس وحياً إلهياً (إنما هو من إملاء رسول الله) و(خط علي).

وينقل بعض العلماء أنه مجموعة من الأدعية والارشادات التي أملاها رسول الله ﷺ لتربيتها وتعليمها.

وهكذا يتضح لنا الخلط والتركيب الذي ذهب إليه البعض من المسلمين، بسبب سوء الفهم، وسوء الفصد أحياناً.

## القرآن الكريم

### في روايات أهل البيت عليهم السلام

من يستمع الروايات والأحاديث الواردة عن طريق أهل البيت عليهم السلام ويدرس سيرة حياتهم وعلاقتهم بكتاب الله لا يجد لأهل البيت عليهم السلام اهتماماً وعناية بشيء كاهتمامهم وعنايتهم بكتاب الله عز وجل. سواء في سيرتهم، أو فيما رووا وحدثوا، أو في ما أوصوا ورثوا ووجهوا أتباعهم وتلامذتهم وأبناء المسلمين كافة.

روى جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن جده رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :

«أيها الناس إنكم في دار هدنة وأنتم على ظهر سفر، والسير بكم سريع، وقد رأيتم الليل والنهار والشمس والقمر يبليان كل جديد، ويقريان كل بعيد، ويأتیان بكل موعود، فأعدوا الجهاز لبعد المجاز».

قال : فقام المقداد بن الأسود، فقال : يا رسول الله، وما دار الهدنة، قال : «دار بلاغ وانقطاع، فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفع، وماحل مصدق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبين وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، له ظهر وبطن، فظاهره حكم، وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق، له نجوم، وعلى نجومه نجوم، لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائب، فيه مصبيح الهدى،



ومناز الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة، فليجل جلال بصره،  
وليلغ الصفة نظره. ينجم من عطب، ويتخلص من نشب، فإن التفكر حياة  
قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور، فعليكم بحسن التخلص،  
وقلة التربص» (٩٨).

وورد عن الامام الصادق عليه السلام :

«الحافظ للقرآن، العامل به، مع السفارة الكرام البررة» (٩٩).

وجاء عن الامام علي بن الحسين عليه السلام : قال رسول الله ﷺ :  
«من أعطاه الله القرآن فرأى أن رجلاً أعطي أفضل مما أُعطي، فقد صغر  
عظيماً، وعظم صغيراً» (١٠٠).

وجاء عن الامام محمد الباقر عليه السلام :

«قال رسول الله ﷺ : يا معاشر قراء القرآن اتقوا الله عز وجل فيما  
مهلكم من كتابه، فإنني مسؤول وإنكم مسؤولون، إني مسؤول عن تبليغ  
الرسالة، وأما أنتم فتسألون عما حلتم من كتاب الله وسنتي» (١٠١).

وجاء عن الصادق عليه السلام :

«ينبغي للمؤمن أن لا يموت حتى يتعلم القرآن، أو يكون في تعليمه» (١٠٢).

وجاء عن الصادق عليه السلام :

«القرآن عهد الله إلى خلقه، فقد ينبغي للمؤمن أن ينظر في عهده،

(٩٨) الكليني / الأصول من الكافي / ج ٢ / كتاب فضل القرآن / ص ٥٩٨ / ط ٣.

(٩٩) الكليني / الكافي / ج ٢ / ص ٦٠٣.

(١٠٠) الكليني / الكافي / ج ٢ / ص ٦٠٥.

(١٠١) الكليني / الكافي / ج ٢ / ص ٦٠٦.

(١٠٢) الكليني / الكافي / ج ٢ / ص ٦٠٧ / باب تعلم القرآن.

وأن يقرأ منه في كل يوم خمسين آية» (١٠٣).

وروي عن الامام الصادق عليه السلام :

«ثلاثة يشكون إلى الله عز وجل: مسجد خراب لا يصلي فيه أهله، وعالم بين جهال، ومصحف مُعلق قد وقع عليه الغبار لا يقرأ فيه» (١٠٤).

وجاء عن الامام الصادق عليه السلام :

«إن القرآن حي لم يموت، وأنه يجري كما يجري الليل والنهار، وكما تجري الشمس والقمر، ويجري على آخرنا كما يجري على أولنا».

وقال أمير المؤمنين عليه السلام :

«ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحُه، وسراجاً لا يخبو توقده، وبحراً لا يُدرك قعره، ومنهاجاً لا يضل نهجه، وشعاعاً لا يظلم ضوءه، وفرقاناً لا يخمد برهانه، وتبياناً لا تهدم أركانه، وشفاء لا تخشى أسقامه، وعزاً لا تهزم أنصاره، وحقاً لا تخذل أعوانه، فهو معدن الايمان ومحجوب حته، وينابيع العلم وبحوره، ورياض العدل وغدرانه، وأثافي الإسلام ونيانه، وأودية الحق وغيطانه، وبحر لا يستزفه المستزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون، ومناهل لا يفيضها الواردون، ومنازل لا يضل نهجها المسافرين، وأعلام لا يعصى عنها السائرون، وآكام لا يجوز عنها القاصدون، جعله الله رباً لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء، ومحاجاً لطرق الصالحاء، ودواءً ليس بعده دواء، ونوراً ليس معه ظلمة، وحبلأً وثيقاً عروته، ومعقلاً منيعاً ذروته، وعزاً لمن تولاه، وسلماً لمن دخله، وهدي لمن اتبعه، وعزراً لمن انتحلّه، وبرهاناً لمن تكلم به، وشاهداً لمن خاصم به، وقلجاً لمن حاج به،

(١٠٣) الكليني / الكافي / ج ٢ / ص ٦٠٩.

(١٠٤) الكليني / الكافي / ج ٢ / ص ٦١٣.

وحاملاً لمن عمله، ومطابقة لمن أعمله، وآية لمن توسم، وجنة لمن استلأم، وعلماً لمن وعى، وحديثاً لمن روى، وحكماً لمن قضى» (١٠٥).

وهكذا نعرف قيمة القرآن وقدره في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ومنهجهم، وهي القيمة الحقيقية التي نطق بها القرآن ووصفه الوحي بها:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾. (الإسراء / ٩)

فهو دستور الأمة، ومنبع العلم والهداية، ومصدر المعرفة والثقافة، ومنهج الفهم والتفكير، وميزان الحضارة والسلوك. والقانون العلمي لتنظيم الحياة الإنسانية، والوعاء الجامع لسنن الحياة الإنسانية وقوانينها.

## أسس

### لفهم القرآن الكريم وتفسيره

ذكرنا فيما سبق كيف أثبت منهج أهل البيت عليهم السلام ، ومدرستهم أن كتاب الله خالد لا تمسه يد التعريف، وهو سجل القانون الإلهي الخالد، ومصدر التشريع، والمقياس الحاكم في صحة الروايات والحديث، والحجة في تثبيت الخطأ والصواب.

فقد ورد عن رسول الله ﷺ :

(إذا جاءكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله، فما وافقه فاقبلوه، وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط) (١٠٦).

بعد أن ثبت كل ذلك، ونفيت الأقاويل والأباطيل، نجد أن هذا المنهج الإسلامي الأصيل قد كشف للمسلمين وحدد لأهل العلم والمعرفة كيفية فهم القرآن والتعامل مع النص القرآني، فإن هذه القضية، قضية فهم القرآن وتفسيره وتأويله قضية أساسية يتوقف عليها سلامة الفكر الإسلامي وصحة العقيدة والتشريع والمعرفة الإسلامية، ذلك لأن أي انحراف أو قصور أو تقصير في فهم القرآن، واكتشاف الحيزين التشريعي والعقائدي، واستنباط أحكامه ومفاهيمه وقوانينه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية والقضائية ... الخ، يؤدي إلى الانحراف وتفرق المسلمين وضياع الأصالة والنقاء الإسلامي.

وفي بدء الحديث عن هذا الموضوع الأساس والخطير يجب أن نفرّق بين:  
التفسير، والتأويل.

فالتفسير عند اللّغويين: هو عبارة عن «كشف معنى اللفظ وإظهاره» (١٠٧).  
وعُرف التأويل: بأنّه ردّ أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر (١٠٨).

وجاء في تعريف أحمد رضا بالتفسير قوله:

{التفسير مأخوذ من فسر المشتق بالاشتقاق الكبير من السّر، وهو  
الكشف والظهور، يقال أسفر الصبح إذا ظهر، وأسفرت المرأة عن وجهها إذا  
كشفتة.

أو هو مأخوذ من فسر يفسر - كضرب يضرب، أو كغصن يغصن - فسرأ،  
والفسر هو الإبانة وكشف المغطى، تقول فسرت الشيء، إذا بينته (١٠٩).

وعرّفه الشيخ الطبرسي (أعلى الله مقامه) في مقدّمة تفسير الجليلي بقدر  
(مجمع البيان في تفسير القرآن) بقوله:

(التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، والتأويل ردّ أحد المحتملين إلى  
ما يطابق الظاهر، والتفسير: البيان.

وقال أبو العباس المبرّد:

التفسير والتأويل والمعنى واحد، وقيل الفسر: كشف المغطى، والتأويل:  
انتهاء الشيء ومصيره، وما يؤول إليه أمره.

والمعنى مأخوذ من قولهم عنيت فلاناً: أي قصدته، فكأن المراد من قولهم  
عني به كذا، قصد بالكلام: كذا، وقيل هو من قولهم: عنيت بهذا الأمر: أي

(١٠٧) الطريحي / مجمع البحرين / مادة فسر.

(١٠٨) الطبرسي / مجمع البيان / المقدمة / ص ١٣.

(١٠٩) أحمد رضا / من مقدمة مجمع البيان في تفسير القرآن للشيخ الطبرسي / ج ١ /

تكلّفته (١١٠).

### المناهج في تفسير القرآن:

إذا كان التفسير هو بيان معاني كلمات القرآن وُجْهِه والكشف عنها، ولما كانت بعض كلمات القرآن وجملة يمكن أن تُفسّر تفسيراً ظاهرياً يبعدها عن المقصود الحقيقي للقرآن كان التأويل هو عملية الكشف عن المعنى المقصود، بإرجاع المعنى المستودع في الآية - بعد التردد بين احتمالين (٥١) أو أكثر - إلى ما يؤول إليه؛ وهكذا فإن المحصلة التي نخلص إليها هي تساوي التفسير والتأويل في النتيجة، وهي إيضاح معاني القرآن وبيان ما أراده الله سبحانه أن يبيّنه لعباده.

ومن يستقري كتب التفسير، ومناهج المفسرين يجد أن هناك ثغرات واضحة ومهاوي خطيرة قد وقع فيها بعض المفسرين فشذّوا عن هدف التفسير بسبب مناهج التفسير التي اتبعوها، وكيفية التعامل مع آيات القرآن، فاعتمدوا تارة على روايات ضعيفة أو مذبذبة، وأخرى على هوى النفس فأخضعوا القرآن لما يرضي متبنياتهم وأهواءهم الخاصة، وطبقوا معاني الآيات على حوادث وأشخاص ووقائع لم يقصدها القرآن الكريم، بل طبقوها تعزيزاً لأرائهم ومبوهم الخاصة.

ومن أمثلة الشذوذ في التأويل ما حملته بعض الفلاسفة والفكرانيين للآيات القرآنية بعد أن آمنوا بأفكار ومذاهب كلامية وفلسفية ثم أخضعوا معاني الآيات لها.

(١١٠) الطبرسي / مقدمة مجمع البيان / ج ١ / ص ١٣.

(٥١) من الأمثلة على التأويل: تأويل الآية الكريمة: «وَوضع كرسيه السنوات والأرض»، فيؤول الكرسي بالعلم والسلطان والهيمنة... الخ، وليس بالكرسي المادي.

ومنها ما يتجه إليه بعض الكتاب والمفسرين في تطبيق الآيات وفقاً للنظريات العلمية والأفكار الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي يجدها مطروحة عند الكتاب وأصحاب النظريات الشائعة في عصرهم قولاً برأسم ومن غير وجود تناسب حقيقي وانطباق صادق، وهكذا نجد جرّ الآيات إلى هوى النفس، وتلبيح المفسر سلفاً بحقائق، ثم محاولة جرّ القرآن إليها في مجالات كثيرة، قديماً وحديثاً.

وقد وقع كثير من المفسرين بهذا الخطأ من مختلف مذاهب المسلمين سنة وشيعة وغيرهم، ثم أوردوا المبررات وحجج الدفعا لاثبات ما يذهبون إليه. وبالعودة إلى المنهج الإسلامي الأصيل في التفسير نجد أنّ هذا المنهج يرفض هذا الاتجاه ويثبت الأسس الصحيحة للتفسير.

فالتفسير كما ورد عن رسول الله ﷺ وكما بيّنه منهج أهل البيت عليهم السلام ومن سار بنقاء وأصالة على منهجهم، والمفسرون الملتزمون، له أسسه وقواعده التي تقود المفسر والباحث في كتاب الله إلى الصواب وخصوصية العطاء.

ولتقرأ ما ورد عن رسول الله ﷺ والأئمة الهداء عليهم السلام وعلماء الأمة في وضع الأسس السليمة للتفسير وإقامة الموازين والضوابط المحافظة على هذا العلم الجليل، ليؤدي دوره بدقة وسلامة، ويغني دنيا الإنسانية بالمعاني والأفكار والمفاهيم والأحكام، بعيداً عن الضياع والتخزص والتحميل والقول بالرأي وإخضاعه لهوى النفس.

ذكر الطبرسي: (أنّه قد صحّ عن النبي، عن طريق أهل البيت عليهم السلام، إنّ تفسير القرآن لا يجوز إلّا بالأثر الصحيح، والنص الصريح) (١١١).

إِنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كانوا ينهجون هذا المنهج ويرفضون تفسير القرآن بعيداً عن هذين الأساسين :

١ - تفسير القرآن بالقرآن : أي أَنَّ الآيات يفسر بعضها بعضاً .

٢ - تفسير القرآن بالروايات والأحاديث الصحيحة .

وهكذا فإن التفسير يجب أن يلتزم بهذين الأساسين التزاماً كاملاً، ويجب أن لا يغيب عن بالنا أن للعقل دوره الأساس والرائد في فهم القرآن، وتفسير معانيه، وتوجيه طواهيره، شريطة أن يلتزم بمحدود الكتاب والسنة، ولا يخرج على معالم الخط العام لها، وقد أعطى الرسول الكريم للعقل دوراً بارزاً في تفسير القرآن بقوله :

«القرآن ذلُّولٌ ذو وجوه، فاحملوه على أحسن الوجوه» (١١٢).

وورد عنه أيضاً عَلَيْهِ السَّلَامُ :

«أعربوا القرآن، واتمسوا غرائب» (١١٣).

ووضع القرآن دور العقل في التفسير، وامتنح أصحاب العقول التي تستنبط من القرآن بقوله :

﴿لَعَلِّمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ .

وذم أولئك الذين عطلوا التفكير والتأمل العقلي في آيات القرآن الحكيم، واكتشاف معانيه ومضامينه بقوله :

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ . (محمد / ٢٤)

وإذن فالتفسير في منهج أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ يقوم على أسس ثلاثة :

(١١٢) الطبرسي / مجمع البيان / المقدمة / ص ١٣.

(١١٣) الطبرسي / مجمع البيان / المقدمة / ص ١٣.



١ - تفسير القرآن بالقرآن.

٢ - تفسير القرآن بالسنة.

٣ - تفسير القرآن بالعقل الملتزم بالكتاب والسنة.

وهكذا نجد أن للتفسير أسسه وضوابطه، وأن ما ورد من تفاسير دخل فيها الرأي الشخصي، أو تبينت فيه بعض نظريات العلم التي عاصرها المفسر أو آراء فلسفية وكلامية، أو ما استند على روايات ضعيفة، أو ساقطة السند، أو مخالفة لصريح القرآن أو السنة، القطعية، أو ما طبعها المفسر برأيه وميله انشخصي وأمثال ذلك، فإنه مرفوض في منهج أهل البيت عليهم السلام ومن سار على هداهم من علماء ومفسرين، وكم نجد في تفاسير المسلمين سنة وشيعة من آراء وتفسيرات غير ملتزمة بهذا الخط الإسلامي، وغير معبرة عن روح القرآن.

لذا فلا يصح أن نقيم لها وزناً، أو تدين بها إلا من يلزم نفسه بصدقها. ومهما يكن المفسر فالقرآن حجة عليه، وليس هو حجة على القرآن، ولا يكون حجة على المسلمين إلا بقدر ما يصيب ويشخص من صواب ويكتشف من حقيقة.

وقد ورد النهي عن القول بلا علم ولا دليل عن الأئمة الأطهار عليهم السلام، فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام قوله:

«ما علمتم فقولوا، وما لم تعلموا فقولوا: الله أعلم، إن الرجل لينزع الآية من القرآن يختر فيها أبعد ما بين السماء والأرض» (١١٤).

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

«كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة» (١١٥).

(١١٤) البهودي / صحيح الكافي / ج ١ / ص ٥.

(١١٥) البهودي / صحيح الكافي / ج ١ / ص ١١.

## السنة النبوية في مدرسة أهل البيت عليه السلام

«نَصَرَ اللهُ عبداً سمعَ مقالتي فحفظها ووعاها وأدّاها كما سمعها، فَرَبٌّ حامل فقهٍ غير فقيه، وَرَبٌّ حامل فقهٍ إلى مَنْ هو أفقه منه» (١١٦).

السنة هي المصدر الثاني بعد كتاب الله، من مصادر التشريع التي يعتمد عليها المسلمون في استنباط الأحكام والقوانين والقيم الإسلامية، فهي تتحمل مسؤولية: (بيان وإيضاح وتفسير كتاب الله وصياغة مضامينه ومحتواه التشريعي والفكري والتربوي).

فالتصّ القرآني يحمل غنى وثروة فكرية وتشريعية عظيمة وخالدة، تعهدت السنة ببيانها، والكشف عنها، وليس بوسع العقول أن تدرك من كتاب الله ما تدركه السنة وتكشف عنه، فرسول الله ﷺ هو المنضبط بالوحي، وهو العالم بما في الكتاب العزيز من أحكام ومفاهيم، وما له من مقاصد وأهداف.

لذا فالسنة هي المعين الذي لا ينضب، والحق الذي لا يأتيه الباطن من خلفه ولا من بين يديه، وهي التشخيص الأمين لقوانين الحياة، ونظام سعادة الإنسان، وهي خالدة خلود القرآن، قال الله تعالى:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر / ٧)

وقال تعالى :

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّئَلَّ كَانَ يُرْجَى اللَّهُ وَالْيَوْمُ  
الْآخِرُ﴾ . (الأحزاب / ٢١)

وقال تعالى :

﴿إِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ . (النساء / ٥٩)  
ولقد التزم أهل البيت عليهم السلام ومن سار على منهجهم في التفسير والحديث  
والفقه والتشريع والعقيدة بهذا المنهج، وكافحوا وضحوا وتحملوا الأذى  
والسجون والقتل والتعذيب والتشريد من أجل الحفاظ على السنّة المطهرة،  
وتطبيقها إلى جانب كتاب الله المجيد .

لقد عُرِضَت السنّة المطهرة للندس والتزييف والتحريف من قِبَل الكذابين  
والمندسّين في الإسلام، والحاquدين عليه، لتشويه هذه الرسالة الإلهية الخالدة،  
وحرف مسار الأمة الإسلامية .

وكان لأهل البيت عليهم السلام الدور الطبيعي في حفظ السنّة المطهرة وحملها  
وتبليغها بصدق وأمانة، وانكشف عن محتواها بعمق ودقّة .

لذا حاربوا البدع والضلالات ونادوا بالالتزام بالكتاب والسنّة، وجعل  
كتاب الله مقياساً للسنّة النبوية، ذلك لأن كتاب الله محفوظ من التزييف  
والتحريف، فهو - الله الحمد - محفوظ كما بلغه جبريل عليه السلام للنبي الأمين محمد  
صلى الله عليه وآله : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ .

فلم تمسه يد التحريف أو الندس والتلاعب، لذلك نجد أمير المؤمنين عليّ  
ابن أبي طالب عليه السلام يقول :

«أثمّ الناس إمّا بدء وقور الفتن أهواء تتبع، وأحكام تبتدع، يخالف فيها  
كتاب الله، يتولى فيها رجالاً رجالاً، فلو أن الباطل خلع لم يخف على ذي

حجتي، ولو أن الحق خلص لم يكن اختلاف. ولكن يؤخذ من هذا ضقت (\*) ومن هذا ضقت، فيمزجان فيجئان معاً، فهناك استحوذ الشيطان على أوليائه، ونجا الذين سبق لهم من الله الحسنى» (١١٧).

وروى أبو بصير أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «ترد علينا أشياء ليس نعرفها في كتاب الله ولا سنة، فننظر فيها؟ فقال: لا. أما أنك إن أصبت لم توجر، وإن أخطأت كذبت على الله عز وجل» (١١٨).

ثم قال عليه السلام: قال رسول الله ﷺ:

«كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار».

وقال عبد الله بن أبي يعفور: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن اختلاف الحديث يرويه من نتق به، ومنهم من لا نتق به؟ قال:

«إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله، أو من قول رسول الله ﷺ، وإلا فالذي جاءكم به أولى به» (١١٩).

وعن أيوب بن الحر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«كل شيء مردود إلى كتاب الله والسنة، فكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف» (١٢٠).

(\*) الضقت: انقبضة من الحشيش أو الریحان، يؤخذ من هذا ضقت: يؤخذ منه

شيء.

(١١٧) محمد باقر البهودي / صحيح الكافي / ج ١ / ص ٨ / ط ١٤٠٦ هـ.

(١١٨) البهودي / صحيح الكافي / ج ١ / ص ٩.

(١١٩) البهودي / صحيح الكافي / ج ١ / ص ١١.

(١٢٠) البهودي / صحيح الكافي / ج ١ / ص ١١.

وعن أيوب بن راشد عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال :  
« ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف » (١٢١) .

وعن الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ :

« من تشك بسنتي في اختلاف أمتي كان له أجر مائة شهيد » (١٢٢) .

وجاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : أخبرني عن السنة والبدعة ،  
والجماعة والفرقة ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام :

« السنة ما سنَّ رسول الله ، والبدعة ما أحدث من بعده ، والجماعة أهل  
الحق وإن كانوا قليلاً ، والفرقة أهل الباطل وإن كانوا كثيراً » (١٢٣) .  
وعن علي عليه السلام :

« السنة ستان : سنة في فريضة ، الأخذ بها هدى وتركها ضلالة ، وسنة  
في غير فريضة ، الأخذ بها فضيلة ، وتركها غير خطيئة » (١٢٤) .

وعن الامام الباقر عليه السلام :

« كل من تعدى السنة ردَّ إلى السنة » (١٢٥) .

وعنه عليه السلام :

« إن السنة لا تقاس ، وكيف تقاس السنة والحائض تقضي الصيام ، ولا  
تقضي الصلاة » (١٢٦) .

(١٢١) البهبودي / صحيح الكافي / ج ١ / ص ١١ .

(١٢٢) الطبرسي / مشكاة الأنوار / باب الأخذ بالسنة .

(١٢٣) الطبرسي / مشكاة الأنوار / باب الأخذ بالسنة .

(١٢٤) الطبرسي / مشكاة الأنوار / باب الأخذ بالسنة .

(١٢٥) الطبرسي / مشكاة الأنوار / باب الأخذ بالسنة .

(١٢٦) الطبرسي / مشكاة الأنوار / باب الأخذ بالسنة .

وعن أبي عبدالله الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عن الإمام علي عليه السلام :  
 «إِنَّ عَلَى كُلِّ حَقٍّ حَقَّ حَقِيقَةٍ، وَعَلَى كُلِّ صَوَابٍ نَوْرًا، فَمَا وَافَقَ كِتَابَ اللَّهِ  
 فَخُذُوهُ، وَمَا خَالَفَ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ فَاتْرُكُوهُ» .  
 وقال عليه السلام :

«رَحِمَ اللَّهُ أَمْرَهُأَ حَدَّثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، وَلَمْ يَكْذِبْ، فَأَحْجَمَ النَّاسُ  
 عَنْهُ» (١٢٧) .

وقال علي أمير المؤمنين عليه السلام : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :  
 «إِذَا أَتَاكُمْ الْحَدِيثَ مُتَجَوِّبًا مُتَفَاوِتًا، فَمَا يَكْذِبُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَلَيْسَ مِنِّي،  
 وَلَمْ أَقُلْهُ، وَإِنْ قِيلَ قَدْ قَالَهُ، وَإِذَا أَتَاكُمْ الْحَدِيثَ يَصْدُقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَهُوَ  
 مِنِّي. وَأَنَا قُلْتُهُ، وَمَنْ رَأَى مِنِّي أَمْرًا كَمَنْ رَأَى حَيًّا، وَمَنْ زَارَنِي فَكُنْتُ لَهُ شَاهِدًا  
 وَشَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١٢٨) .

وعنه عليه السلام قال لمحمد بن مسلم :

«يَا مُحَمَّدُ مَا جَاءَكَ رَوَايَةٌ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ تَوَافَقَ الْقُرْآنُ فَخُذْ بِهَا، وَمَا  
 جَاءَكَ مِنْ رَوَايَةٍ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ تَخَالَفَ الْقُرْآنَ فَلَا تَأْخُذْ بِهَا» (١٢٩) .

وهكذا يتحدد مفهوم سنة رسول الله ﷺ في مدرسة أهل البيت عليهم السلام  
 ومنهجهم وعلاقة هذه السنة المباركة بكتاب الله، ودورها في التشريع  
 والتقنين، وبناء الحياة الاجتماعية والتعبدية للأمة الإسلامية .

وهكذا نستنتج من هذا المنهج المدرسي :

أ - إِنَّ أَيَّ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ تَقْرِيرٍ يُنْسَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَجِبُ أَنْ

(١٢٧) الطبرسي / مشكاة الأنوار / باب الأخذ بالسنة .

(١٢٨) الطبرسي / مشكاة الأنوار / باب الأخذ بالسنة .

(١٢٩) الطبرسي / مشكاة الأنوار / باب الأخذ بالسنة .

يقارن بكتاب الله ويتأكد من صحته على ضوءه، فما وافق كتاب الله فهو من سنة الرسول ﷺ، وما خالفه فهو ليس من السنة بشيء.

٢ - إن القرآن والسنة هما مصدرا التشريع والتقنين، ومقياس الأحكام والسلوك ونظام الحياة. وما نجد من أحكام فقهية أو مفاهيم عقائدية يجب أن نطابقها مع الكتاب والسنة. فما كان منها قائماً على أساس الكتاب والسنة فهو شريعة وقانون إلهي، نعمل به وتقديسه، وما خالف الكتاب والسنة فهو بدعة وضلالة وباطل.

٣ - إن هناك سنة ثابتة مقطوع بصورها عن رسول الله ﷺ متطابقة مع كتاب الله يجب أن نعتبرها هي الميزان وأداة الفحص والتنقيح للروايات والأحاديث التي نشك فيها، أو نشبهه في صحتها، فنثبت منها ما تطابق مع الكتاب والسنة الثابتة، ونرفض ما خالف ذلك، وهكذا نحدد مدرسة أهل البيت عليهم السلام منهج التعامل مع السنة النبوية المطهرة.

### أقسام السنة النبوية:

يقسم العلماء السنة النبوية إلى ثلاثة أقسام:

١ - الأقوال: وهي كل ما صدر عن رسول الله ﷺ من أحاديث وخطب ووصايا ومراسلات وأمثاله.

٢ - الأفعال: ويقصد بها كل فعل صدر عن الرسول ﷺ في تعامله مع الناس، أو في أدائه للعبادات، أو غير ذلك مما يفصح عن الجواز، فكل فعل فعله رسول الله ﷺ فإننا نكتشف منه (الجواز) بصورة أساسية، فإن رسول الله ﷺ مرّه عن فعل الحرام.

إذن يمكننا أن نقول إن ما صدر عن رسول الله ﷺ من فعل ينقسم إلى

قسمين:

أ - الوجوب، فبعض ما صدر عن الرسول كالصلاة والحج والعدل بين الناس... إلخ، يكشف عن وجوب هذا الفعل، وأنه تكليف وفريضة يجب علينا أن نلتزم بها، ونطبق أحكامها.

ب - وهناك من أفعال رسول الله ﷺ ما لم يكشف عن الوجوب، بل يكشف لنا عن الإباحة، وكل ذلك يدخل في دائرة الحلال الجائز فعله.

إذن ففعل الرسول ﷺ يحتاج إلى تفسير لنعرف الواجب من المستحب من المباح، ويعيّر العلماء المتخصصون عن طريق الأدلة والقرائن ومناهج البحث الأصولية في فهم وتفسير (الفعل) في السنة.

٣ - التقرير: وهو سكوت الرسول ﷺ عن فعل فعله بعض الناس في عصره، وأطلع عليه، ولم ينه عنه. كالمعاملات الاجتماعية، وبعض التصرفات الفردية، فإن ذلك إقرار وموافقة من الرسول الكريم ﷺ، ويدخل في باب السنة.

وهكذا تحدّد مدرسة أهل البيت عليه السلام كيفية التعامل مع السنة المطهرة، وكيفية التأكد من صحتها وتفسيرها.

### منهج التحقيق والإثبات:

لعلماء مدرسة أهل البيت عليه السلام منهج في تحقيق وإثبات السنة النبوية المطهرة حدّدها أئمة أهل البيت عليهم السلام وبيّنوا أصولها ومعالجها، وقد أشرنا إلى الروايات الواردة في ذلك.

وبناءً على هذه الأصول ثبت فقهاء مدرسة أهل البيت عليه السلام (المنهج النقدي) في البحث العلمي، فليس لديهم رواية يسلمون بصحتها ابتداءً، بل ينطلقون من (الشك) في الصحة ثم يبدؤون بالتحقيق والتحري، وفحص الرواية، والتأكد من صحة صدورها، فهم يتناولون الأحاديث والروايات



واحدة واحدة ثم يحققونها، فإن ثبت صحتها أقرّوها، واعتمدوها في الاستنباط، واكتشاف القوانين والأحكام والمفاهيم منها، وإن ثبت لديهم عدم صحتها رفضوها، ولم يعملوا بها، وهكذا يكون منهج البحث الروائي وإثبات السنة.

وبناءً على ذلك لم يعترف علماء مدرسة أهل البيت (الإمامية) بوجود كتب حديث صحيحة مطلقة الصحة، بل كل كتاب خاضع للنقد والتحقيق والتحصيص.

فمثلاً من الكتب المشهورة في الرواية، الجامعة لما ورد عن طريق أهل البيت عليهم السلام هي:

- ١ - الكافي للكليني.
  - ٢ - الاستبصار للطوسي.
  - ٣ - التهذيب للطوسي.
  - ٤ - من لا يحضره الفقيه لنجاشي.
  - ٥ - وسائل الشيعة للحر العاملي.
  - ٦ - بحار الأنوار للمجلسي.
- وغيرها من كتب الحديث والأثر.

إنّ علماء مدرسة أهل البيت الإمامية والمعتزلة بمنهجهم في التفقه والتشريع والمعارف الإسلامية يخضعون الأحاديث الواردة في هذه الكتب ويحققونها حديثاً حديثاً، وقد أسقطوا الكثير منها، ولم يقرّوه، بعد أن وضعوه في ميزان التحقيق والبحث العلمي النزيه، والنقد الموضوعي المعطاء.

وكما ينظرون لهذه الكتب الجامعة للحديث ينظرون أيضاً للكتب الأخرى كصحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وكنز العمال، وأمثالها من

كتب الحديث والرواية، ويزنونها بنفس الميزان العملي ويخضعونها لنفس المنهج التحقيقي.

إن العلماء يفحصون الرواية والحديث الذي يصلهم على أساس:

أ - فحص السند: ويقصد بالسند، سلسلة الرواة الذين رووا الحديث والرواية، فيقوم العلماء بمجهود علمي شاق، وتحقيق سند الرواية، والتأكد من صدق الرواة، معتمدين على (علم الرجال)، الذي يقدم لهم تعريفاً بشخصيات الرواة، ويشهد بصدقهم أو يظن بهم، ولا يعينهم من أي مذهب هذا الراوي، فإن كان (ثقة وصدوقاً) قبلوا روايته، وإن كان مطعوناً بنزاهته ردوا روايته، فهم لا ينظرون إلا إلى صدقه ونزاهته على تفصيلات وأسس مثبتة في مباحث الحديث.

ب - تحقيق المتن: ويقصد بالمتن (النص)، فهم يفحصون لغة المتن ومعناه، ويحققون ليتأكدوا من أن ما ورد فيه لا يخالف كتاب الله، أو سنة ثابتة، أو حقيقة ثابتة أقرها الشارع المقدس كالحقيقة العقلية القطعية.

فإذا ثبت لدى العلماء صحة السند، وصحة المتن، قبلوا الرواية، وإلا ردوها، ولا يعينهم أنها جاءت في أي كتاب من كتب الحديث.

إذن فليس في منهج الفقهاء وعلماء مدرسة أهل البيت عليه السلام إلامامية:

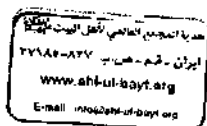
١ - تبني كتاب حديث صحيح بأكمله أو رفضه بأكمله.

٢ - إتهمهم يقبلون رواية الراوي بشرط صدقه ووثاقته، بغض النظر عن مذهبه وطائفته.

ومن يراجع كتب أصول الفقه والرجال والفقه الاستدلالي يجد هذه الحقيقة واضحة جلية.

وبذا يساهم هذا المنهج العلمي النقدي بالحفاظ على أصالة الشريعة

ونقائها، ووحدة المسلمين والابتعاد عن العصبية والجهل والتزمت، إذ لا مجال للعصبية والتزمت مع المنهج العلمي النقدي المتصف بالموضوعية والنزاهة. وبهذا المنهج التحقيقي، والعمل النقدي الذي يقوم على أساس الموضوعية والتحري العملي وعدم التسليم سلفاً بصحة أية رواية، وبغض النظر عن الزاوي الذي رواها، أو الكتاب الذي نقلها، إلا بعد تحقيقها، والتأكد من سلامة (السند والمتن، لفظاً ومعنى).



## أُتْمَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

### الرِّوَاةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(سأل سباعة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال: «قلت له أكل شيء في كتاب الله وستة نبيّه عليهم السلام أو تقولون فيه؟ فقال: بل كل شيء في كتاب الله وستة نبيّه» (١٣٠).

إن الأُتْمَةَ من أهل البيت عليهم السلام ما كانوا مجتهدين، ولا أصحاب رأي، بل كانوا هم الأُتْمَةُ الَّذِينَ وَرِثُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِلْمَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَقَامُوا بِحِفْظِهَا وَبَيَانِ فَتْهَاهَا لِلأُتْمَةِ. لَذَا فَإِنَّ كُلَّ مَا صَدَرَ عَنْهُمْ كَانَ سُنَّةً، وَهُمْ يَرَوْنَ ابْنًا عَنْ أَبِي عَنْ جَدٍّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْإِمَامُ الصَّادِقُ عليه السلام:

«حَدِيثِي حَدِيثَ أَبِي، وَحَدِيثَ أَبِي حَدِيثَ جَدِّي، وَحَدِيثَ جَدِّي حَدِيثَ أَبِيهِ، وَحَدِيثَ أَبِيهِ حَدِيثَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَحَدِيثَ عَلِيٍّ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». وَحَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (١٣١).

(وَعَنْ قَتِيبَةَ قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ - الصَّادِقَ - عَنْ مَسْأَلَةٍ فَأَجَابَهُ فِيهَا، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ كَذَا وَكَذَا مَا يَكُونُ الْقَوْلُ فِيهَا؟ فَقَالَ لَهُ: مَهْ مَا أَجِبْتُكَ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَسْنَا مِنْ: «أَرَأَيْتَ» فِي شَيْءٍ) (١٣٢).

(١٣٠) الكليني / الأصول من الكافي / ج ١ / ص ٦٢.

(١٣١) نقله العلامة السيد محمد أمين / أعيان الشيعة / ج ٢ / ص ٣٤ / ط ٣.

(١٣٢) الكليني / الكافي / المجلد الأول / ص ٥٨ وجاء في حاشية الكتاب لما كان

وفي ذلك يقول الشيخ البهائي:

(جميع أحاديثنا إلا ما ندر تنتهي إلى أئمتنا الاثني عشر سلام الله عليهم أجمعين، وهم ينتهون فيها إلى النبي ﷺ، فإن علومهم مقتبسة من تلك المشكاة) (١٣٣).

وبذا أصبح أئمة أهل البيت عليهم السلام مصدراً للحديث والزواية، وبيان أحكام الشريعة والكشف عن غوامضها.

إن حياتهم المباركة بما أنها حلقات متواصلة مترابطة متفاعلة، لا فاصلة فيها، ولا غريب مجهول يخترق امتدادها حتى تتصل برسول الله ﷺ، فهي تشكل مدرسة، وتجربة حية يتجسد فيها الإسلام، وتطبق فيها أحكامه، وتحفظ مبادئه، وكل ذلك يؤكد لنا الثقة بصفاء المصدر، ونقاء العطاء، وأصالته ما صدر عن آل البيت عليهم السلام.

وإذا عرفنا كل ذلك استطعنا أن نعرف الأجواء والبيئة والمدرسة العلمية التي نشأ فيها وأخذ عنها أتباع أهل البيت عليهم السلام، فنعرف أن مدرستهم في الحديث والتفسير ومعارف العقيدة والتوحيد، وسائر علوم الشريعة، إنما هي النقل الأمين، والامتداد الغزير لمعارف النبوة، ونقاء الشريعة، وأصالته المصدر، وإذن فلترتب حلقات السلسلة المباركة من أئمة أهل البيت عليهم السلام الزواية عن رسول الله ﷺ، ونعرف لأبناء أئمتنا مقامهم العلمي والشرعي، فأهل البيت عليهم السلام حين يتحدثون عن سلسلة رواة حديث الرسول ﷺ عندهم.

— مراده أخبرني عن رأيك الذي تختاره بالظن والاجتهاد نهائياً ﷺ عن هذا الظن وبين لهم أنهم لا يقولون شيئاً إلا بالجزم واليقين وبما وصل إليهم من سيد المرسلين (صلوات الله عليه وعلوهم أجمعين).

(١٣٣) الشيخ البهائي / (توفي سنة ١٠٣٠ هـ) / الوجيزة (مبادئ عامة في علم الحديث) /

إنما يتحدثون عن هذه السلسلة.

- ١ - علي بن أبي طالب عليه السلام، ولد سنة ٣٠ من عام الفيل، وتوفي سنة ٤٠ من الهجرة.
- ٢ - الحسن بن علي عليهما السلام، ولد سنة ٣ من الهجرة، وتوفي سنة ٥٠ من الهجرة.
- ٣ - الحسين بن علي عليهما السلام، ولد سنة ٤ من الهجرة، وتوفي سنة ٦١ من الهجرة.
- ٤ - الامام علي بن الحسين (زين العابدين) عليه السلام، ولد سنة ٣٨ من الهجرة، وتوفي سنة ٩٥ من الهجرة.
- ٥ - الامام محمد بن علي الباقر عليهما السلام، ولد سنة ٥٧ من الهجرة، وتوفي سنة ١١٤ من الهجرة.
- ٦ - الامام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام، الذي ينسب إليه مذهب أهل البيت عليهم السلام (المذهب الجعفري الامامي)، ولد سنة ٨٣ من الهجرة، وتوفي سنة ١٤٨ من الهجرة.
- ٧ - الامام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام، ولد سنة ١٢٨ من الهجرة، وتوفي سنة ١٨٣ من الهجرة.
- ٨ - الامام علي بن موسى الرضا عليهما السلام، ولد سنة ١٤٨ من الهجرة، وتوفي سنة ٢٠٣ من الهجرة.
- ٩ - الامام محمد بن علي الجواد عليهما السلام، ولد سنة ١٩٥ من الهجرة، وتوفي سنة ٢٢٠ من الهجرة.
- ١٠ - الامام علي بن محمد الهادي عليهما السلام، ولد سنة ٢١٢ من الهجرة، وتوفي سنة ٢٥٤ من الهجرة.

١١ - الامام الحسن بن علي العسكري عليه السلام ، ولد سنة ٢٣٢ من الهجرة ، وتوفي سنة ٢٦٠ من الهجرة .

١٢ - الامام محمد بن الحسن المهدي عليه السلام ، ولد سنة ٢٥٥ من الهجرة ، وهو حي غائب حسب الروايات الواردة .

وقد سبق الحديث عن الثلاثة الأوائل من هذه الكوكبة المباركة (عليّ والحسن والحسين عليهم السلام) وعرفنا مقامهم في القرآن والسنة ، وفي ذلك دليل لا يُدانيه دليل على صحة الاعتقاد عليهم . والأخذ عنهم بعد أن عرفهم القرآن الكريم والسنة النبوية .

ولنقرأ جانباً من أقوال العلماء في تعريف بقتة هذه الكوكبة المباركة من أهل بيت النبوة :

٤ - الإمام عليّ بن الحسين (زين العابدين) عليه السلام :

روى الشيخ المفيد في الإرشاد عن الزهري أنه قال : (لم أدرك أحداً من أهل هذا البيت - بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم - أفضل من عليّ بن الحسين) (١٣٤) .

ونقل عن سعيد بن المسيب قوله في الامام عليّ بن الحسين عليه السلام : (هذا سيّد العابدين عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب) (١٣٥) .

ووصف ابن حجر في كتابه الصواعق المحرقة ، الامام عليّ بن الحسين بقوله : (زين العابدين هو الذي خلف أباه علماً وزهداً وعبادة) (١٣٦) .

وعن أبي حازم وسفيان بن عيينة كان كل منهما يقول : (ما رأيت هاشمياً

(١٣٤) الشيخ المفيد / الإرشاد / باب الامام عليّ بن الحسين فضائله ومناقبه .

(١٣٥) المفيد / الإرشاد / ص ٢٥٧ .

(١٣٦) أهل البيت / أبو علم .

أفضل من علي بن الحسين، ولا أفقه منه» (١٣٧).

إن مثل هذه الشخصية الفذة المرموقة التي كانت تحتل موقع الإمامة والأستاذية والأعلمية، تحرية أن يصفها العلماء بمثل هذه الأوصاف، ويركن إليها المسلمون في أخذ الحديث والفقه والتفسير والعقيدة، وسائر علوم الشريعة المقدسة.

وقد قلّد الإمام السبط الشهيد الحسين بن علي عليه السلام الوسام وشهادة الاعتراف بالإمامة والزعامة والدينية تولده (علي زين العابدين)، وفي ذلك أوضح دليل على مقام هذا الإمام والأخذ بما صدر عنه من علوم ومعارف ورواية... الخ.

فقد ورد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام :

«إن الحسين عليه السلام لما سار إلى العراق استودع أم سلعة (رض) الكتب والوصية فلما رجع علي بن الحسين عليه السلام دفعها إليه» (١٣٨).

## ٥ - الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام :

أما ولده محمد بن علي الذي لقّب بالباقر لتوسعه في العلوم والمعارف فهو كآبيه أشهر من عرف المسلمون في الورع والزهد والعلم والمعرفة، وبذلك يشهد العلماء والزواة والمحدثون، ويروي الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري أن رسول الله ﷺ أخبره بأنه سيدرك ولده محمدًا الباقر عليه السلام، وأمره أن يقرئه السلام.

(١٣٧) ابن الجوزي / تذكرة الخواص / ذكر علي بن الحسين عليه السلام.

(١٣٨) الطبرسي / اعلام الوري بأعلام الهدى / انصوص الدالة على إمامته /

ص ٢٥٢ / ومناقب آل أبي طالب / ج ٢.



فقد روى هذا الصحابي: (قال لي رسول الله ﷺ :

«يوشك أن تبق حتى تلقى ولداً لي من الحسين عليه السلام ، يقال له محمد؛ يقر العلم بقرأ، فإذا لقينته فأقرته مني السلام» (١٣٩).

وقد أدرك هذا الصحابي الامام الباقر عليه السلام وهو صبي وأبلغه تحية جده رسول الله ﷺ.

إن في هذه الشهادة النبوية وفي هذا التعريف لكفاية للاعتراف بمقام هذا الامام، والاعتماد عليه، والرجوع إليه، والأخذ عنه، وتشكل حياته وحياة ولده جعفر الصادق أغنى فترة من فترات التاريخ الإسلامي في الحديث والزواية، والتعريف بعلوم الإسلام.

وقد كان العلماء، والزواة، والمفسرون، وطُلاب المعرفة الإسلامية في تلك الفترة يرون في الامام الباقر قوة لا تدانيها قوة، وعلماً لا يرتفع إلى جانبه علم. فقد وصفه ابن العماد الحنبلي بقوله:

(أبو جعفر محمد الباقر كان من فقهاء أهل المدينة، وقيل له الباقر لأنه يقر العلم، أي شقه، وعرف أصله، وتوسّع فيه) (١٤٠).

ونقل ابن الجوزي عن أحد أعلام التابعين (عطاء) قوله في الامام محمد الباقر عليه السلام:

(ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم في مجلس أبي جعفر الباقر) (١٤١).

(١٣٩) ذكره الشيخ المفيد / الإرشاد، وابن الصباغ المالكي / الفصول المهمة، يعقوبي في تاريخه، والشبلنجي / نور الأبصار، وابن الجوزي / تذكرة الخواص.

(١٤٠) أسد حيدر / الامام الصادق والمذاهب الأربعة / ج ٢ / نقلاً عن شذرات الذهب / ج ١ / ص ١٤٩.

(١٤١) هاشم معروف الحسني / سيرة الأئمة الاثني عشر / ج ٢ / ص ١٩٨ / ط ١.

## ٦ - الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام :

أمّا ولده جعفر الصادق عليه السلام فقد أسهب العلماء في الثناء عليه وعلى آبائه وإعظام مقامهم، نذكر من هذه الأقوال ما نصّه :

نقل العلامة المحقق السيد محسن الأمين :

(إنّ المحافظ بن عقدة الزيدي جمع في كتاب رجاله أربعة آلاف رجل من الثقات الذين رووا عن جعفر بن محمد فضلاً عن غيرهم وذكر مصنفاتهم) (١٤٣).

ونقل ابن شهر آشوب في كتابه مناقب آل أبي طالب عن كتاب الغلية لأبي نعيم ما نصّه :

(إنّ جعفر الصادق حدّث عنه من الأئمة والأعلام: مالك بن أنس، وشعبة ابن الحجاج، وسفيان الثوري، وابن جريج، وعبدالله بن عمرو، وروح بن القاسم، وسفيان بن عيينة، وسليمان بن بلال، وإسماعيل بن جعفر، وحاتم بن إسماعيل، وعبد العزيز بن المختار، ووهب بن خالد، وإبراهيم بن طحان، وآخرون غيرهم، قال: وأخرج عنه مسلم في صحيحه، محتجباً بحديثه، وقال غيره: وروى عنه مالك، والشافعي، والحسن بن صالح، وأبو أيوب السخيتاني، وعمر بن دينار، وأحمد بن حنبل، وقال أنس بن مالك: ما رأيت عبداً ولا سمعت إذناً، ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر الصادق فضلاً وعلماً وعبادة وورعاً) (١٤٣).

وتحدّث الأستاذ الشيخ محمود أبو زهرة شيخ الأزهر الشريف عن الإمام

(١٤٣) نقله العلامة السيد محسن الأمين / أعيان الشيعة / ج ٣ / ص ٣٤ / ط ٣.

(١٤٣) ابن شهر آشوب / مناقب آل أبي طالب / ج ٤ / ص ٢٤٨.

الصادق في مقدمة كتابه (الإمام الصادق)، فقال:

(أما بعد فاتنا قد اعترمنا بعون الله وتوفيقه أن نكتب عن الامام جعفر الصادق، وقد كتبنا في سبعة من الأئمة الكرام، وما أخرنا الكتابة عنه لأنه دون أحدهم، بل إن له فضل السبق على أكثرهم، وله على الأكاير منهم فضل خاص، فقد كان أبو حنيفة يروي عنه ويراه أعلم الناس باختلاف الناس، وأوسع الفقهاء احاطة، وكان الامام مالك يختلف إليه دارساً راوياً، وكان له فضل الأستاذية على أبي حنيفة ومالك، فحسبه ذلك فضلاً، ولا يمكن أن يؤخر عن نقص، ولا يقدم غيره عليه عن فضل، وهو فوق هذا حفيد علي زين العابدين الذي كان سيد أهل المدينة في عصره، فضلاً وشرفاً ودينياً وعلمياً، وقد تلمذ له ابن شهاب الزهري، وكثيرون من التابعين، وهو ابن محمد الناقور الذي يقر العلم ووصل إلى لبابه، فهو بمن جمع الله تعالى له الشرف الذاتي والشرف الاضافي بكرم النسب، والتقربة الهاشمية والعترة المحمدية) (١٤٤).

وكان عمرو بن المقدام يقول:

(إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين).

ووصفه المؤرخ الشهير البعقوبي بقوله:

(وكان أفضل الناس وأعلمهم بدين الله، وكان أهل العلم الذين جمعوا منه إذا رويوا عنه قالوا أخبرنا العالم) (١٤٥).

هذا قبس من تعريف العلماء والرواة والمحدثين وشهاداتهم تكشف عن مقام أهل البيت عليهم السلام وموقعهم العلمي والاياني الفريد.

(١٤٤) محمد أبو زهرة / الإمام الصادق / ص ٣.

(١٤٥) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب / تاريخ البعقوبي / ج ٢ / ص ٣٨١.

٧ - الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام :

أما الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فهو ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، تربى في كنف أبيه فاكتمسب منه العلم والورع ومكارم الأخلاق ، لذا شهد له أبوه بجلالة قدره وعظيم مكانته ، أنه ولده موسى ، هو سيّد أهل البيت عليهم السلام ، والإمام الذي يرجع إليه في أخذ العلوم والمعارف .

فقد ورد عنه عليه السلام أنه قال لأحد أصحابه :

«إن ابني هذا الذي رأيت لو سألت عَمَّا بين دفتي المصحف لأجابه فيه بعلم» (١٤٦) .

ووصفه علماء الرجال والسير بأنه العالم الصادق ، والمتعبد المشهور بالورع والتقوى ، وعظمة الشأن ، وسموّ الخلق ، نذكر من هذه الشهادات ما قاله الحافظ الرازي في موسوعته الرجالية بقوله :

(موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب روى عن أبيه ، روى عنه ابنه عليّ بن موسى وأخوه عليّ بن جعفر ، سمعت أبي يقول ذلك عبد الرحمن ، قال : سئل أبي عنه فقال : ثقة صدوق ، إمام من أئمة المسلمين) (١٤٧) .

وقال فيه محمد بن أحمد الذهبي :

(كان موسى من أجود الحكماء ، ومن عباد الله الأنبياء) (١٤٨) .

وقال كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي :

(١٤٦) قرب الاستاد / ص ١٩٣ ، المناقب لابن شهر آشوب / ج ٣ / ص ٤١١ .

(١٤٧) الحافظ الرازي / المرح والتعديل / ج ٨ / باب الجيم / ص ١٣٩ / ط ١ ، ١٣٧٢ هـ دار الكتب العلمية .

(١٤٨) محمد بن أحمد الذهبي / ميزان الاعتدال / ج ٣ / ص ٢٠٩ .

(هو الإمام الكبير القدر، العظيم الشأن، الكبير المجتهد الجاد في الاجتهاد، المشهور بالعبادة، المواظب على الطاعة، المشهور بالكرامات، بييت النسل ساجداً وقائماً، ويقطع النهار متصدّقاً، وصائماً، وفطرط حلمه، وتجاوزته عن المعتدين عليه دُعي «كاظمًا»)(١٤٩).

وقال مؤمن الشبلنجي:

(كان موسى الكاظم عليه السلام أعبد أهل زمانه، وأعلمهم)(١٥٠).

#### ٨ - الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام :

أما ولده علي بن موسى الرضا عليه السلام فقد كان كآبائه في العلم والورع وكمال الأخلاق، وقد تولى الزعامة الدينية ومهمة الامامة من بعد أبيه، وقد بلغ من المجد والمكانة ما أرغم الخليفة العباسي (المأمون) أن يعهد له بالخلافة من بعده، رغم الصراع والعداء المستحكم بين العلويين والعباسيين.

وقد شهد العلماء والفقهاء والفلاسفة في مجالس العلم والحوار، وفي كتب الرجا والسير مكانة الامام علي الرضا عليه السلام العلمية، ومقامه الكريم، وما اتسم به من الورع والتقوى.

نقل من هذه الأقوال :

(قال الواقدي: كان ثقة، يفتي بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن نيف وعشرين سنة، وهو من الطبقة الثامنة من التابعين من أهل المدينة)(١٥١).

(١٤٩) كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي / مطالب السؤل / ص ١٨.

(١٥٠) انشبلنجي / نور الابصار / ص ٢١٨.

(١٥١) ابن الجوزي / تذكرة الخواص / ص ١٩٨.

أما أبوه موسى بن جعفر الذي عرفنا مكانته العلمية، وورعه وتقواه، فإنه يشهد له بالعلم، ويرشد إلى الأخذ عنه بقوله لأبائنا:

(هذا أخوكم علي بن موسى، عالم آل محمد، فسلوه عن أدبانكم، واحفظوا ما يقول لكم) (١٥٢).

## ٩ - الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام :

أما الإمام الجواد عليه السلام فهو كآبائه وأسلافه الأظهر في العلم والزهد والتقوى : قال سبط ابن الجوزي :

(محمد الجواد : وهو محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكنيته : أبو عبدالله، وقيل أبو جعفر، ولد سنة خمس وتسعين ومائة، وتوفي سنة مائتين وعشرين، وكان على منهاج أبيه في العلم والتقوى والزهد والجود) (١٥٣).

وروى محمد بن عمار قال :

(كنت عند علي بن جعفر <sup>(\*)</sup> بن محمد جالساً بالمدينة، وكنت أقف عنده سنتين أكتب عنه ما سمع من أخيه - يعني موسى بن جعفر الكاظم - إذ دخل عليه أبو جعفر محمد بن علي الرضا المسجد، مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فوثب علي بن جعفر بلا حذاء ولا رداء، فقبل يده، وعظمه. فقال له أبو جعفر : يا عم اجلس رحمك الله.

(١٥٢) الشيخ المفيد / الارشاد.

(١٥٣) ابن الجوزي / تذكرة الخواص / ص ٢٠٢.

(\*) علي بن جعفر الصادق هو عم أبي الإمام الجواد عليه السلام، وهو من الزّواة الثقات عند أهل الزّوايه والحديث من عموم المسلمين.

فقال يا سيدي: كيف أجلس وأنت قائم؟!

قلنا رجع عليّ بن جعفر إلى مجلسه، جعل أصحابه يوتخونه، ويقولون له: أنت عم أبيه، تفعل به هذا الفعل!!

فقال: اسكتوا إذا كان الله عزّ وجلّ - وقبض على لحيته - لم يؤهل هذه النسبية وأهل هذا الفتى، ووضعه حيث وضعه، أنكر فضله؟! نعوذ بالله عما تقولون، بل أنا عبد له (١٥٤).

وقال محمود بن وهيب البغدادي الحنفي:

(محمد الجواد بن عليّ الرضا، كنيته أبو جعفر، ثم قال: وهو الوارث لأبيه علماً وفضلاً، وأجلّ أخوته قدراً وكهلاً) (١٥٥).

١٠ - الإمام عليّ بن محمد الهادي عليه السلام:

أما الإمام عليّ الهادي عليه السلام ابن الإمام محمد الجواد عليه السلام فكان له من عظيم الفضل ورفيع الشأن، علماً وورعاً، ما كان لأبيه الكرام، ويكتفى بأبي الحسن العسكري.

قال مؤمن الشبلنجي:

(ومناجاته ﷺ كثيرة، قال في الصواعق: كان أبو الحسن العسكري وارث أبيه علماً وسخاءً) (١٥٦).

قال عبد الحميد بن العباد الحنبلي:

(أبو الحسن عليّ بن محمد بن عليّ الرضا، بن الكاظم موسى، بن جعفر

(١٥٤) مدينة المعاجز / ص ٤٥٠.

(١٥٥) جوهر الكلام / ص ١٤٧.

(١٥٦) نور الأبصار / ص ١٤٩.

انصافاً، العلوي، الحسيني، المعروف بالهادي، كان فقيهاً إماماً، متعبداً (١٥٧).  
قال الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير:

(وأما أبو الحسن عليّ الهادي فهو ابن محمد الجواد بن عليّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين الشهيد بن عليّ بن أبي طالب أحد الأئمة الاثني عشر، وهو والد الحسن بن عليّ العسكري، وقد كان عابداً زاهداً، نقله المتوكل إلى سامراء، فأقام بها أزيد من عشرين سنة بأشهر، ومات بها هذه السنة - أربع وخمسين ومائتين -) (١٥٨).

وردوي عن يحيى بن هرثة الذي أرسله المتوكل العباسي ليجلب الإمام عليّ الهادي من المدينة إلى سامراء:

(فذهبت إلى المدينة، فلما دخلتها ضج أهلها ضجيجاً عظيماً، ما سمع الناس بمثله، خوفاً على عليّ، وقامت الدنيا على ساق، لأنه كان مُحسناً إليهم، ملازماً للمسجد، لم يكن عنده ميل إلى الدنيا، فجعلت أسكتهم، وأحلف لهم أنني لم أؤمر فيه بأكروه، وأنه لا بأس عليه، ثم فُتشت منزله، فلم أجد إلا مصاحف وأدعية، وكتب العلم، فظلم في عيني) (١٥٩).

## ١١ - الإمام الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام :

أما الإمام الحسن العسكري بن عليّ الهادي عليه السلام فهو أيضاً كاتباً للكرام في العلم والمعرفة والورع والجهاد.

(١٥٧) شذرات الذهب / ج ٢ / ص ١٢٩.

(١٥٨) البداية والنهاية / ج ١١ / ص ١٥.

(١٥٩) ابن الجوزي / تذكرة الخواص / ص ٢٠٢.



وقد شهد العلماء وأصحاب السير له بذلك، نذكر من هذه الأقوال:

١ - قال شمس الدين أبو المظفر يوسف بن فراغلي - سبط ابن الجوزي - :  
(كان عالماً ثقة، روى الحديث عن أبيه عن جدّه) (١٦٠).

٢ - قال علي بن الصباح المالكي :

(منافس سيدنا أبي محمد الحسن العسكري دالة على أنّه السري ابن  
انسري، فلا يشك في إمامته أحد ولا يمتري، واعلم أنّه إن بيعت مكرمة  
فسواء ببيعها وهو المشتري، وأحد زمانه من غير مدافع، ونسيج وحده من  
غير منازع، وسيد أهل عصره، وإمام أهل دهره، أقواله سديدة، وأفعاله  
حميدة) (١٦١).

١٢ - الإمام محمد بن الحسن المهدي عليه السلام :

قال رسول الله ﷺ :

«لم تنقض الأيام والليالي حتى يبعث الله رجلاً من أهل بيتي يواطئ اسمه  
اسمي، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلئت ظلماً وجوراً» (١٦٢).

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام عن النبي ﷺ أنه قال :

«لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما  
ملئت جوراً».

حكّذا أخرجه أبو داود في مسنده، وروى أبو داود والترمذي في سننهما كل

(١٦٠) ابن الجوزي / تذكرة الخواص / ص ٢٠٣.

(١٦١) ابن الصباح المالكي / الفصول المهمة في أحوال الأئمة / ص ٢٩٠.

(١٦٢) رواه أبو داود في سننه / ج ٤ / ص ١٠٤ / ح ٤٢٨٢ / ط دار إحياء السنة

النّبوية. ابن الصباح المالكي / الفصول المهمة / ذكر محمد بن الحسن المهدي.

واحد منها يرفعه إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

«المهدي مني، أجلى الجهة أقى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً».

وزاد أبو داود: يملك سبع سنين، وقال حديث ثابت صحيح (١٦٣).

إن الأحاديث التي وردت عن طريق أئمة الحديث والزواة من مختلف مذاهب المسلمين كثيرة جداً، وتجمع على أن اسم المهدي هو (محمد)، وأنه من أهل بيت النبوة، واختلفوا في تحديد شخصه، فالذي ثبت عند اتباع أهل البيت وغيرهم أنه الامام محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط الشهيد بن علي بن أبي طالب، وأنه ولد في النصف من شعبان سنة (٢٥٥) هـ في سر من رأى، وأنه بقدر إلهي ما زال موجوداً وغائباً، وأن ظهوره سيكون في وقت كما ورد في الحديث الشريف تملأ فيه الأرض ظلماً وجوراً ليملاها قسطاً وعدلاً، وإن عيسى عليه السلام يصلي خلفه.

هذا تعريف مختصر بأئمة أهل البيت عليهم السلام ومقامهم ومكانتهم.

فمنهم أخذ الفقه والحديث والتفسير وعلوم العقيدة والشريعة وغيرها.

## التوحيد في منهج أهل البيت عليه السلام

«أَوَّلُ الدِّينِ معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له» (١٦٣).

«لا يقبل الله عملاً بلا معرفة، ولا معرفة إلا بعمل، فمن عرف دَلَّتْهُ المعرفة على العمل، ومن لم يعمل فلا معرفة له، ألا إِنَّ الأيمان بعضه من بعض» (١٦٤).  
التوحيد قاعدة الاسلام وأساس الفهم والتكفير ومحور العلم والعمل، فهو المنطلق والقاعدة للتشريع والقيم والأخلاق ومنهج التفكير.  
إن مفهوم التوحيد يسلك أساساً في بناء الحضارة الاسلامية المتميزة بصفتها التوحيدية:

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾.

(البقرة / ١٣٨)

الصبغة التوحيدية التي تميزها عن الحضارات الجاهلية، وتعطيها الصفات الرسالية المحددة، وهي التي تمتنع سلوك المسلم وتفكيره النقط المتميز في الحياة.

إن القرآن الكريم والسنة المطهرة هما مصدر الفكر والتفكير العقائدي وقد

---

(١٦٣) الامام علي عليه السلام نهج البلاغة / الخطبة رقم (١).

(١٦٤) حديث شريف / عن الامام الصادق عليه السلام.

أوضحاً لنا بجلاء كامل عقيدة التوحيد، وبيّناً لنا وجود الله الخالق العظيم، وحدداً صفاته الكالية، وبيّناً له التنزيه المطلق، فاكتملت أسس هذه العقيدة وأصولها التوحيدية، فأمن بها المسلمون الأوائل، كما جمعوها من رسول الله صلى الله عليه وآله، وقرأوها في كتاب الله المجيد.

انتشر الاسلام وتوسعت الفتوحات الاسلامية، ودخلت شعوب وأمم ذات حضارات وفلسفات جاهلية، كالفرس والهنود والصينيين.

كما دخل في الاسلام ناس من أتباع الديانات المسيحية واليهودية المخرقة، والمتأثرين بالفلسفة والآلهوت المسيحي واليهودي، يضاف إلى ذلك ما نقل من أفكار وفلسفات يونانية وغيرها، فنشأ الجدل والشك ودخلت الخرافات والمفاهيم الغريبة على عقيدة التوحيد، عن طريق هذا التسرّب الحضاري الهدام، واضطربت عقيدة التوحيد عند صنف من المشتغلين في بحث العقيدة ومسائلها، والفلسفة وفروعها، كمسألة الجبر والتفويض في السلوك الانساني، وكمسألة الفلّو والتجسيم، وتفسير الإسراء والمعراج... الخ، فتبيلت الأفكار، ونشأت المذاهب والفرق والاتجاهات العقائدية الضالة والمنحرفة عن عقيدة التوحيد، فخاض أئمة أهل البيت عليهم السلام والعلماء والمفكرون الاسلاميون صراعاً حضارياً وفكرياً، عنيفاً، ترك أثره الواضح إلى يومنا هذا - على الرغم من انقراض بعض الفرق والتيارات الضالة - ترك هذا الصراع أثره السلبي والايجابي معاً على الفكر العقائدي، وعلى اتجاه التفكير وتفسير مسائل العقيدة، وفي هذا الصراع كان أئمة أهل البيت عليهم السلام بما أوتوا من نقاء في الفهم، وإحاطة بعلوم الشريعة، ومعرفة الله سبحانه، واستيعاب شامل لكتاب الله وسنة رسوله، كان لهم ولمدرستهم العلمية والعقائدية الدور البارز في صدّ الشبهات واسقاط التيارات الضالة والمنحرفة والدفاع عن مفهوم التوحيد بنقاته وأصالته، وما زالت بين أيدينا مناظرات

أئمة أهل البيت عليهم السلام وأحاديثهم وتفسيرهم للآيات التي تتحدث عن التوحيد وتزيج غوامض التفكير، وتحري الفهم الاسلامي الأصيل على أصوله، وترفع محاولات الشطط وسوء الاستفادة من الآيات وتفسير ظواهرها وفق هوى النفس ومسبقات التفكير الضال المتحرف، أو الفهم الحائر المضطرب، فقبلورت وفق منهجهم في فهم كتاب الله، ومعرفتهم لله سبحانه، الوحدة الفكرية المتأسكة لعقيدة التوحيد.

ومن يدرس علوم العقيدة، عقيدة التوحيد، ويتعمق في فهم وحدة البناء العقائدي وتفرعاته ومسائله وفق منهج ومدرسة أهل البيت عليهم السلام ونظرتهم، يدرك ذلك العمق والنقاء، وكيف أن البناء العقائدي والحضاري بأسره يدور مدار عقيدة التوحيد، وأن عقيدة التوحيد تقوم على أساس «إثبات الكمال المطلق لله سبحانه، وتزيمه عن كل نقص، ونفي الشريك والنسبيه والمثيل والصد عنه».

وقد ثبت الامام علي عليه السلام أسس هذا الاتجاه التوحيدي بقوله:

«التوحيد أن لا تتوهمه، والعدل أن لا تثمه» (١٦٥).

وقد وردت أحاديث ومناظرات وتصريحات ثبت فيها أئمة أهل البيت عقيدة التوحيد، وردوا شبهات المبطلين والزنادقة، كالديصاني وابن أبي العوجاء، وابن المقفع، والملحدين والغلاة والمجسمة والمفوضة والمجبرية وأمثالهم.

وفيما يأتي نستعرض جانباً من هذه المبادئ التوحيدية التي تعبر عن عقيدة القرآن، وترسم أسس العلم والتفكير التوحيدي بفقائه وأصالته.

فعن الامام الصادق عليه السلام أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال:

«اعرفوا الله بالله، والرسول بالرسالة، وأولي الأمر بالأمر بالمعروف والعدل والإحسان» (١٦٦).

وروى الفتح بن يزيد عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، قال: «سألته عن أدنى المعرفة، فقال: الاقرار بأنه لا إله غيره ولا شبه له ولا نظير، وأنه قديم مثبت موجود غير فقيد، وأنه ليس كمثله شيء» (١٦٧).

وسأل نافع بن الأزرق الإمام أبا جعفر محمد الباقر عليه السلام، فقال: «أخبرني عن الله متى كان؟ فقال: متى لم يكن حق أخبرك متى كان، سبحان من لم يزل ولا يزال، فرداً صمداً، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً» (١٦٨).  
وروى الصادق أن حبراً من الأخبار جاء للإمام علي عليه السلام يسأله، فقال: «يا أمير المؤمنين، متى كان ربك؟ قال: ويلك أما يقال: متى كان لما لم يكن، فأما ما كن فلا يقال، متى كان، كان قبل القبل بلا قبل، وبعد البعد بلا بعد، ولا منتهى غاية لتنتهي غايته، فقال له: أنبي أنت؟ فقال: لأملك الهبل، إنما أنا عبد من عبيد رسول الله ﷺ» (١٦٩).

وعن الباقر عليه السلام:

«إياكم والتفكر في الله، ولكن إذا أردتم أن تنظروا إلى عظمته، فانظروا إلى عظيم خلقه» (١٧٠).

وأوصى الإمام الصادق عليه السلام أحد أصحابه (محمد بن مسلم) بقوله:

(١٦٦) الكليني / الأصول من الكافي / ج ١ / باب التوحيد / ص ٨٥.

(١٦٧) الكليني / الكافي / ج ١ / باب التوحيد / ص ٨٦.

(١٦٨) الكليني / الكافي / ج ١ / ص ٨٨.

(١٦٩) الكليني / الكافي / ج ١ / ص ٩٠.

(١٧٠) الكليني / الكافي / ج ١ / ص ٩٣.

«يا محمد، إنَّ الناس لا يزال بهم المنطق حتى يتكلّموا في الله . فإذا سمعت ذلك فقولوا : لا إله إلاَّ الله الواحد الذي ليس كمثله شيء» (١٧١).

وعن الامام الباقر عليه السلام :

«تكلّموا في كل شيء، ولا تتكلّموا في ذات الله» (١٧٢).

وقد شرح الامام علي عليه السلام لأحد سائليه عندما سأله : أين كان الله قبل أن يخلق الخلق . فردّ عليه نافياً حاجة الله سبحانه إلى المكان، مؤكداً تنزيهه الباري جلّ شأنه عن ذلك . كما هو مغرّه عن الحاجة إلى الزمان .  
سأله سائل :

«أين كان ربنا قبل أن يخلق سماء وأرضاً؟ فقال : أين سؤال عن مكان، وكان الله ولا مكان» (١٧٣).

وسئل عن رؤية الله سبحانه، فنزّهه عن الرؤية وقال للسائل حين سأله :  
«يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك حين عبده؟ قال : فقال : ويلك ما كنت أعبد رباً لم أره، قال : وكيف رأيته؟ قال : ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان» (١٧٤).

وروى محمد بن حكيم، قال :

«كتب أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام إلى أبي : إنَّ الله أعلى وأجل وأعظم من أن يُبلّغ كنه صفته . فُصِفَ بما وصف به نفسه، وكفوا عما سوى ذلك» (١٧٥).

(١٧١) الكليني / الكافي / ج ١ / ص ٩٢.

(١٧٢) الكليني / الكافي / ج ١ / ص ٩٢.

(١٧٣) الكليني / الكافي / ج ١ / ص ٩٠.

(١٧٤) الكليني / الكافي / ج ١ / ص ٩٨.

(١٧٥) الكليني / الكافي / ج ١ / ص ١٠٢.

وعن المفضل قال :

«سألت أبا الحسن عن شيء من الصفة، فقال: لا تجاوز ما في القرآن» (١٧٦).

وعن عبد الرحمن بن عبيك القصير قال: كتبت على يدي عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد الله الصادق عليه السلام :

«إن قوماً بالعراق يصفون الله بالصورة وبالتخطيط (\*) فإن رأيت جعلني الله فداك أن تكتب إلي بالمذهب الصحيح من التوحيد؟ فكتب إلي: سألت رحك الله عن التوحيد وما ذهب إليه من قبلك، فتعالى الله الذي ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، تعالى عما يصفه الواصفون المشبهون الله بحلقه، المفترون على الله، فاعلم رحك الله أن المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله جلّ وعزّ، فأنف عن الله تعالى البطلان، والتشبيه، فلا نفي ولا تشبيه، هو الله الثابت الموجود تعالى عما يصفه الواصفون ولا تعدوا القرآن فتضّلوا بعد البيان» (١٧٧).

وفي توحيد الذات وتنزيهه عن مشابهة الخلق قال حمزة بن محمد: كتبت إلى أبي الحسن الكاظم أسأله عن الجسم والصورة، فكتب:

«سبحان من ليس كمثله شيء، لا جسم، ولا صورة» (١٧٨).

وهكذا نقرأ التوحيد الخالص والتنزيه المطلق لله سبحانه في مدرسة أهل البيت عليه السلام ومنهجهم المعبر عن روح القرآن ومضمونه، وما جاءت به آياته،

(١٧٦) الكليني / الكافي / ج ١ / ص ١٠٢.

(\*) بالتخطيط: بالشكل.

(١٧٧) الكليني / الكافي / ج ١ / ص ١٠٠.

(١٧٨) الكليني / الكافي / ج ١ / ص ١٠٤.



وبذا ثبتوا عقيدة التوحيد، وردوا الأباطيل والشبهات والأضاليل التي ابتلي بها التفكير الاسلامي في تلك الفترة من حياة الأمة، كما يقوم هذا البيان رداً حاسماً على الضالين والمنحرفين من الغلاة(\*) والمفوضة والمجسمة ومن قالوا بالحلول - حلول الله في بعض خلقه - أو بالاتحاد - اتحاد الله مع خلقه - .

وإيضاحاً لمن اشتبهت عليه الأمور فراح يخلط بين مذهب أهل البيت الحق المنزه عن خرافات الغلاة والمفوضة ومن قالوا بالحلول ممن ادعوا الانسحاب إلى أهل البيت عليهم السلام ، وبين أتباع تلك الفرق الضالة .

وكثيراً ما يلجأ المخربون والمفرقون لصفوف هذه الأمة إلى التضييل والخلط والنشوي بغية الدس والافتراء، واستغفال البسطاء، ومن لا علم لهم، لتفريق الأمة، وشق وحدتها، وخدمة أعدائها .

### العدل الإلهي وتفسير السلوك الانساني

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ .  
(آل عمران / ١٨)

العدل صفة من صفات الله سبحانه، نشاهد آثارها في كل مجال من مجالات الوجود، نشاهد العدل في عالم الخلق والتكوين، في عالم الطبيعة وخلق الانسان والحيوان والنبات، كما نشاهد العدل في الشريعة والقانون الإلهي .

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ .  
(النحل / ٩٠)

كما يتجسد عدل الله فيما يقضي ويقدر على خلقه من قضاء وقدر، وفيما

---

(\*) سنوضح إن شاء الله في أحد بحوث هذا الكتاب عقيدة أتباع هذه الفرق الضالة الذين وصفوا أئمة أهل البيت عليهم السلام بصفات الله، فلعنهم أهل البيت عليهم السلام وطردهم .

شرع من شرائع ورسالات، ويتجسد هذا العدل الإلهي في عالم الآخرة، يوم الحساب والجزاء، فيجازى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾. (الكهف / ٤٩)

﴿ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾. (البقرة / ٢٨١)

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾. (البقرة / ٢٨٦)

وعلى هذا المنهج سار المسلمون الأوائل في فهم علاقتهم بالله سبحانه وتفسير سلوك الإنسان، وما يصدر منه من عمل، وحين دخلت الفلسفة والمذاهب الفلسفية والكلامية المختلفة، نشأت ثلاثة آراء لتفسير السلوك الإنساني، وعلاقته بإرادة الله سبحانه.

وهذه الآراء هي:

١ - الجبر.

٢ - التفويض.

٣ - لا جبر ولا تفويض.

فقد أوجعت ظواهر بعض الآيات القرآنية لبعض أصحاب الفرق والمذاهب، كقوله تعالى:

﴿يُخِصِّلُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

أن يقولوا (بالجبر)، ومفاد هذا الرأي أن الإنسان لا يملك إرادة، ولا اختياراً، وإنما هو عبارة عن المحل الذي تجري عليه الحوادث المقدرة من قبل الله تعالى.

فالإنسان وفق هذا الرأي مجبر على فعله، وليس مختاراً، وهو رأي المجبره ومن اعتنق نظريتهم هذه.

وأما الرأي الثاني فهو الرأي القائل بأن الإنسان مفوض في اختيار الأفعال،

وارادته منفصلة عن إرادة الله، بل إن الله لا يستطيع أن يحول بينه وبين فعل ما يريد، سواء المعاصي كالقتل والظلم وشرب الخمر، أو الطاعات كالعدل والاحسان وأداء الصلاة، وبذا فالإنسان منفصل عن الله تعالى، وهذا رأي المعتزلة.

وقد ردَّ أئمة أهل البيت عليهم السلام على هذين الرأيين وأبطلوهما، فكلاهما مخالف لما جاء به القرآن، وقامت على أساسه عقيدة التوحيد، وأوضحوا أنَّ هناك علاقة واضحة بين تفسير سلوك الإنسان، وبين الإيمان بعدل الله، ويبنوا أنَّ مفاد الرأي القائل بأنَّ الإنسان لا يملك إرادة ولا اختياراً وأنه مجبر على أفعاله، إنَّ مفاد ذلك يجرُّ إلى اتهام الباري جلَّ شأنه بالظلم ونفي العدل عنه - نزعه عن ذلك وعلا علواً كبيراً - لأنَّ معنى ذلك إنَّ الله أجبر الإنسان على فعل الشر وعاقبة عليه، كما أجبره على فعل الخير فهو لا يستحق الثواب عليه، ولذا فقد رفضوا هذا التفسير الذي وقع فيه كثير من المسلمين خطأً بسبب الفهم الناقص لظواهر بعض الآيات، كقوله تعالى:

﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

وفسَّر أئمة أهل البيت عليهم السلام معنى الهداية والإضلال بوضوح كامل ومتسق مع عدل الله سبحانه، كما سيأتي بيانه.

كما رفضوا الرأي القائل بأنَّ الإنسان مفوض، يعمل دون أن يستطيع الله سبحانه أن يمنعه عن أي فعل، وفسَّروا رفضهم هذا الانحراف العقائدي بأنه اتهام لله بعدم الهيمنة والسيطرة على العباد، وعجزه عن ذلك، وهو القادر على ما يشاء، والمالك لما ملك الخلق، وحددوا منهجهم ومذهبهم في هذه القضية المرتبطة بعدل الله في النظرية الوسط التي ترفض الجبر والتفويض وتقول: (إرادة الإنسان غير المنفصلة عن إرادة الله) وفسَّروا هذه العلاقة بدقَّة عقائدية كاملة، وسنعرض الزوايا الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام المعبرة

عن هذا الرأي .

وقيل أن نستعرض هذه الروايات فلنثبت القضايا الأساسية التي تختلف فيها منهج أهل البيت عن أصحاب المناهج والآراء المختلفة في قضية العدل الإلهي بثلاث قضايا أساسية :

١ - إن الإنسان يملك الإرادة والقدرة على اختيار أي فعل - خيراً كان أو شراً - كما يستطيع رفضه ، فهو يستطيع أن يقتل ويسرق ويظلم ويكذب بإرادته واختياره ، كما يستطيع أن يقيم العدل وأن يفعل المعروف ويؤدي الصلاة ويترك المحرمات بإرادته واختياره .

وإن الله سبحانه قادر على منع الإنسان عن أي فعل كما هو قادر على جعل الإنسان يفعل أي فعل دون تدخل لاختيار الإنسان ، ولكن الله سبحانه لا يرغم أحداً على فعل الخير أو فعل الشر .

إلا أن الله بلطفه ورحمته له أن يحول بين الإنسان المستحق للعناية الإلهية ، وبين فعل المنكرات ، رحمة بهذا الإنسان المستحق ، كما قد يوفقه ويعينه على فعل الخير إذا وجده مستحقاً لذلك .

٢ - ويرتبط بالعدل الإلهي : أن الله سبحانه يجازي كل إنسان على فعله يوم القيامة - خيراً كان أو شراً - بينما قال فريق من المسلمين إن الله يستطيع أن يدخل المحسن إلى النار والمسيء إلى الجنة ، واعتمدوا خطأً وعن سوء فهم للآية الكريمة :

﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ . (الأنبياء / ٢٣)

كما قال فريق من المسلمين اعتماداً على التفسير الخاطئ لهذه الآية ، لا يجب على الله أن يبي بما وعد من جزاء يوم القيامة . وردت آفة أهل البيت عليه السلام هذا القول بأن ذلك يتنافى صدق الله وعده .

فبهذا الرأي يتساوى المحسن والمسيء.. وتندم قيمة التكليف والشرائع، والصحيح أنه لا عمل بلا جزاء أو مسؤولية وأن:

﴿قَنْ يَفْعَلْ يَفْعَلْ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَفْعَلْ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

(الزلزلة / ٧، ٨)

٣ - ذهب آراء بعض المسلمين إلى القول بأن الله سبحانه يجوز أن يكلف العباد فوق قدرتهم اعتماداً على الفهم الخاطئ والاستفادة السقيمة من الآية الكريمة:

﴿وَرَبُّنَا وَلَا تُحْمَلُنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ (\*) .

(البقرة / ٢٨٦)

ورفض أئمة أهل البيت عليهم السلام هذا الفهم والتفسير وبيّنوا أن ذلك مخالف لعدل الله ولصريح القرآن:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

(البقرة / ٢٨٦)

وفيما يأتي نستطيع أن نذكر بعض الروايات والمناظرات التي وردت من أهل البيت عليهم السلام تشرح لنا هذه المبادئ الأساسية، وتفسر السلوك الانساني، والعلاقة بين ارادة الانسان و ارادة الله سبحانه، وتربط بين هذا التفسير ومبدأ العدل الإلهي، لتؤكد لنا وحدة الفهم والتفكير والاعتقاد في رسالة الاسلام، وتبطل نظريتي (الجبر والتفويض) كما أبطلوا ببقية الأفكار والتفريعات الخارجة على منهج القرآن.

---

(\*) قال العلامة الطباطبائي في تفسيره للآية: المراد بما لا طاقة لنا به ليس هو التكليف الابتدائي بما لا يطاق، إذ قد عرفت أن العقل لا يجوز له أبداً، وإن كلامه تعالى أعني ما حكاه بقوله: ﴿وقالوا سمعنا وأطعنا﴾ يدل على خلافه بل المراد به - ما لا طاقة لنا به - جزاء السيئات الواصلة إليهم من تكليف شاق لا يتحمل عادة، أو عذاب نازل، أو رجز مصيب كالسوخ ونحوه، للميزان في تفسير القرآن / ج ٢ / ص ١٤٥.

روي عن الامام الصادق (عليه السلام) :

«إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَعَلِمَ مَا هُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ، وَأَمْرُهُمْ وَنَهَاهُمْ، لَهَا أَمْرُهُمْ بِهِ مِنْ شَيْءٍ فَقَدْ جَعَلَ لَهُمُ السَّبِيلَ إِلَى تَرْكِهِ، وَلَا يَكُونُونَ آخِذِينَ وَلَا تَارِكِينَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» (١٧٩).

ونقرأ في حوار للامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) مع رجل من أصحابه عند مسيره إلى الشام لحرب معاوية في صفين حين سأله هذا الرجل فقال:

«يا أمير المؤمنين أخبرنا عن مسيرنا أبقياء الله وقدره؟ فقال له أمير المؤمنين: أجل يا شيخ، فوالله ما علوتم تلعمة، ولا هبطتم بطن واد إلا بقضاء من الله وقدر، فقال الشيخ: عند الله احتسب عتائي يا أمير المؤمنين، فقال له الامام: ويحك! لعلك ظننت قضاء لازماً وقدرأ حانئاً! ولو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد، إن الله سبحانه أمر عباده تخييراً، ونهاهم تحذيراً، وكلف يسيراً، ولم يكلف عسيراً، وأعطى على القليل كثيراً، ولم يعص مغلوباً، ولم يُطع مكرهاً، ولم يُرسل الأنبياء لعباً، ولم يُنزل الكتاب للعباد عبثاً، ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً: ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [١٨٠].

وورد عن الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) أنه ذكر عند الجبر والتفويض فقال:

«ألا أعلمكم في هذا أصلاً لا تختلفون فيه، ولا يخاصمكم عليه أحد إلا كسرتموه؟ قلنا: إن رأيت ذلك، فقال: إن الله عز وجل لم يُطع بإكراه، ولم

(١٧٩) اليهودي / صحيح الكافي / ج ١ / باب الجبر والتقدر.

(١٨٠) الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) / نهج البلاغة / حكم أمير المؤمنين (عليه السلام) /

يُعص بغلبة ، ولم يهمل العباد في ملكه ، هو المالك لما ملكهم ، والقادر على ما أقدرهم عليه ، فإن انتمر العباد بطاعته لم يكن الله منها صادراً ، ولا منها مانعاً ، وإن ائتمروا بمعصيته ، فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل ، وإن لم يحل فعلوه فليس هو الذي أدخلهم فيه ، ثم قال عليه السلام : من يضبط حدود هذا الكلام فقد خضم من خالفه» (١٨١).

وورد في شرح العقائد للمفيد قال :

«وروي عن أبي الحسن الثالث عليه السلام ، أنه سُئل عن أفعال العباد أهى مخلوقة لله تعالى ، فقال : لو كان خالقاً لها لما تبرا منها ، وقد قال سبحانه : إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، ولم يرد البراءة من خلق ذواتهم ، وإنما تبرا من شركهم وقبائحهم» (١٨٢).

وفي كتاب التوحيد عن محمد بن عجلان قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : «فوض الله الأمر إلى العباد ؟ قال : الله أكرم من أن يفوض إليهم ، قلت : فأجبر الله العباد على أفعالهم ، قال : الله أعدل من أن يجبر عبداً على فعل ثم يعذبه عليه» (١٨٣).

وورد في كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام في تفسير قوله تعالى :

﴿وَتَزَكَّيْهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ .

قال :

«إِنَّ اللَّهَ لَا يُوصَفُ بِالْتَرْكِ كَمَا يُوصَفُ خَلْقُهُ ، لَكِنَّهُ مَعَى عِلْمِ أَنَّهُمْ

(١٨١) عن كتاب التوحيد و عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق / الطباطبائي / تفسير الميزان / ج ١ / بحث الجبر والتفويض .

(١٨٢) الطباطبائي / تفسير الميزان / بحث الخبر والتفويض .

(١٨٣) الطباطبائي / تفسير الميزان / بحث الجبر والتفويض .

لا يرجعون عن الكفر والضلال متعمهم المعاونة واللطف، وخلق بينهم وبين اختيارهم» (١٨٤).

وورد في كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام في تفسير قوله تعالى:

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾.

قال: الختم هو الطبع على قلوب الكفار عقوبة على كفرهم. كما قال الله تعالى:

﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٨٥).

وهكذا يوضح منهج أهل البيت عليه السلام مفهوم الهداية والضلال وأن الله سبحانه لم يخلق الناس ضالين ولا مهتدين، بل ترك لهم الخيار، وأعطاهم الإرادة، ووضح لهم سبيل الخير، وحذّرهم من سبل الشر والنوايا، فقال تعالى:

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾. (الإنسان / ٣)

وقال:

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾.

(البند / ١٠)

عرّفناه نجد الخير ونجد الشر، وعليه أن يختار الطريق.

ويفسّر الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله ذلك بقوله:

«أما ها نجدان نجد خير ونجد شر، فلا يكن نجد الشر أحبّ إليكم من نجد الخير» (١٨٦).

(١٨٤) الطباطبائي / تفسير الميزان / بحث الجبر والتفويض.

(١٨٥) الطباطبائي / تفسير الميزان / بحث الجبر والتفويض.

(١٨٦) تراجع الطبرسي / مجمع البيان في تفسير القرآن / تفسير الآية: ﴿وهديناه

النجدين﴾.



وخلص منهج أهل البيت عليهم السلام إلى نظرية لتفسير السلوك الانساني. وما يصدر عن الانسان من خير أو شر، وصيغت بقانون نصه:

«لا جبر ولا تفويض، ولكن أمر بين أمرين، ومنزلة بين منزلتين».

ووصف أحد أئمة أهل البيت عليهم السلام ذلك حين سئل أهنالك منزلة بين الجبر والتفويض، فقال:

«تسع ما بين السماء والأرض».

هذا هو ملخص المنهج الذي تبنته أهل البيت عليهم السلام في موضوع الجبر والتفويض واعتقده المسلمون الذين أخذوا بمنهجهم وساروا إلى طريقهم.

## أهل البيت عليهم السلام والفرق الضالة

لقد أدرك أعداء الاسلام أنَّ أهل البيت عليهم السلام مصدر الاصاله والنقاء، ومفرع المسلمين في الشدائد والمحن، لهم مقام وحرمة في نفوس أبناء الاسلام كافة.

فالكل ينظر إليهم بالاحترام والتقدير، ويقدّس ما يصدر عنهم، وينتهي إليهم، لذلك حاولت العناصر المخربة والندسوسة أن تتجه إلى مصدر الأصاله والنقاء فتستتر تحت ظلاله، وترفع كذباً وزيفاً شعار الولاء لأهل البيت عليهم السلام، الذين لعنواهم وتبرأوا منهم، ولتخطط بكيد وخيت لهدم عقيدة التوحيد والنقاء على رسالة الاسلام وتشويه منهج أهل البيت عليهم السلام، الدعاة إلى الله، والأمناء على رسالة التوحيد، قافتعلوا عقائد ضالة وفلسفات منحرفة، فقالوا بحلول الله - جلّ وعلا عن ذلك علواً كبيراً - في أجساد الأئمة، وقالوا بتفويض الله الأمور من الرزق والتأثير في الخلق والجنة والنار إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام.

بل وينسب بعضهم الألوهية لأئمة أهل البيت عليهم السلام، كل ذلك كيداً للاسلام وأهله، وهدماً لعقيدة التوحيد. وكان وراء هذه التيارات العناصر المجوسية والمناوية والمزدكية وأمنائها، التي أعلنت نفاقاً لدخول في الاسلام ولم تؤمن به، كما شارك الفكر اليهودي والنصراني المهرّف بهذه الخصلة التخريبية (١٥).

---

(١٥) إنّ هذا العمل التخريبي والأفكار الضالة لا ينحصر دورها ومحاولاتها الهدامة

وكم استطاعوا عن هذا الطريق من بذلة العقول، وزرع الشبهات، ودس الزوايات والمفاهيم الضالة، ونسبتها لأهل البيت كذباً وتزويراً. لذا عقد تصدّي نفر من العلماء الاعلام وصنّفوا كتب الرجال، وفرزوا العناصر المدسوسة لتشخيص الكذّابين والوضّاعين وأصحاب العقائد الضالة من عهد رسول الله ﷺ وحتى آخر سلسلة أئمة أهل البيت عليه السلام الزواة الأئمة عن رسول الله ﷺ لإسقاط كل رواية مدسوسة، ولكشف كل راوٍ متسرّع دسّاس، كما فعل النجاشي في كتابه المعروف برجال النجاشي، وائتسوخ الطوسي في كتابه الفهرست ورجال الطوسي، وغيرها.

ويحدّثنا التاريخ عن وجود فرق ضالّة ومنحرفة نسبت نفسها لأهل البيت عليه السلام كالغلاة والمفوّضة، وقد تبرزت أهل أئمت منهم ولعنوهم وطردوهم وأبعدوهم، بل وحكم فقهاء الامامية بنجاسة الغلاة والمفوّضة.

وقد عدّ النوبختي (\*) فرقاً عديدة من الغلاة والمفوّضة في كتابه فرق الشيعة، وذكر مواقف أئمة أهل البيت عليه السلام منهم، تذكّر منها قوله:

(وأما أصحاب «أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأجدع الأسدي» ومن قال بقولهم فإنهم افترقوا ما بلغهم أن أبا عبد الله جعفر بن محمد الامام الصادق عليه السلام لعنه ويرى منه ومن أصحابه).

---

— ضد أهل البيت ومحاولة التسرّع تحت شعارهم، بل عملوا على ادخالها عن طريق بقية فرق وطوائف المسلمين الأخرى. لذا تصدّى الفلاسفة والعلماء ورجال الحديث من مذاهب المسلمين الأخرى لمواجهتها والتخلّص منها، وما زلنا نشاهد كثيراً من المدسوسات والعقائد غير الصحيحة في كتب المسلمين وتراثهم من مختلف الطوائف، وهي ما يرفضه المحقّقون الملتزمون.

(\*) النوبختي: هو أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي، من أعلام الامامية في القرن

الثالث الهجري.

إلى أن قال :

(وفرقة منهم قالت إن أبا عبد الله جعفر بن محمد (الصادق) هو الله - جل وعز وتعالى علواً كبيراً - وإن أبا الخطاب نبي مرسل .

فرقة قالت : جعفر بن محمد هو الله عز وجل - وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - وأما هو نور يدخل في أبدان الأوصياء فيحل فيها ، فكان ذلك النور هو جعفر بن محمد (الصادق) ثم خرج منه فدخل في أبي الخطاب) (١٨٧).

ثم تابع النوبختي عرضه لهذه العقائد الضالة فقال :

(فهذه فرقة أهل الغلو ممن اتحل التشيع وإلى (الخرمدينية) والمزدكية<sup>(\*)</sup> والزنديقية<sup>(\*\*)</sup> والذهرية<sup>(\*\*\*)</sup> مرجعهم جميعاً لعنهم الله ، وكلهم يتفقون على نفي الربوبية عن الجليل الخائق - تبارك وتعالى عن ذلك علواً كبيراً - وإثباتها في بدن مخلوق ، على أن البدن مسكن لله ، وأن الله تعالى نور وروح ينتقل في هذه الأبدان - تعالى الله عن ذلك - إلا أنهم يختلفون في رؤسائهم الذين يتولونهم ، يبرأ البعض من بعض ويلعن بعضهم بعضاً) (١٨٨).

(١٨٧) النوبختي / فرق الشريعة / ط ١٣٨٨ هـ / ص ٥٩ .

(\*) المزدكية : أتباع مزدك الذي ظهر في أيام قيام والد أنوشيروان واسم كتابه الذي ادعى نزوله عليه (ديستاور) وقوله كقول الماثوية «ديانة فارسية قديمة» في الأصلين النور والظلمة / ينظر فهرست ابن النديم . والمزدكية هم الذين أباحوا المحرمات ، وزعموا أن الناس شركاء في الأموال والنساء . وإليه يتبع المذهب الاشترائي / تعليق السيد محمد صادق بحر العلوم على كتاب فرق الشيعة للنوبختي .

(\*\*) الزندقية : هم الذين رفضوا تعاليم الأديان الإلهية بحجة تحزير الفكر / المصدر السابق .

(\*\*\*) الدهريون : هم انقوم النائلون إن العالم موجود أولاً وأبدأ ، لا صانع له . وهم فرقة من الكفار الملحدين .

(١٨٨) النوبختي / فرق الشيعة / ص ٦٠ .

كما نقل التوبختي من أخبار الفرق الضالة المنقرضة التي حاولت التسلط بالانتساب إلى أهل البيت (عليه السلام) فرقة قالت : (إنَّ محمد بن الحنفية) ابن الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) (هو المهدي سماء الامام علي مهدياً ، لم يمت ولا يموت ولا يجوز ذلك ، ولكنه غاب ولا يدرى أين هو ، وسيرجع ويملك الأرض ولا إمام بعد غيبته إلى رجوعه إلى أصحابه ، وهم أصحاب ابن كرب) (١٨٩) .  
ثم قال :

(وحمة بن عمارة البربري منهم وكان من أهل المدينة ففارقهم وادعى أنَّه نبي ، وإنَّ محمد بن الحنفية هو الله - عزَّ وجلَّ وتعالى عن ذلك علواً كبيراً - وأنَّ حمزة هو الامام ، وأنه ينزل عليه سبعة أسباب من السماء فيفتح بهنَّ الأرض ويملكها ، فتبعه على ذلك ناس من أهل المدينة وأهل الكوفة فلعمنة أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (عليه السلام) (الباقرا) وبرئ منه وكذبه وبرئت منه الشيعة) (١٩٠) .

كما نعت الامام الصادق (عليه السلام) صائداً النهدي الذي تابع هذه الفرقة الضالة وعده من الشياطين ، وقد عده الصادق في رواية فيمن كذب عليه (١٩١) .  
وفيا يلي نذكر ما رواه علماء الشيعة عن الامام الصادق (عليه السلام) في تحديد موقفه من أولئك الضالين الغلاة ، ومن آرائهم المتعرفة ولعنه وطرده لهم ، ننقل مثلاً لهذا الموقف موقفه من أتباع أبي الجارود ، فقد نقل التديم في القهرست :  
إنَّ الامام الصادق (عليه السلام) قال عنه : (لعمنة الله أنَّه أعشى القلب ، أعشى البصر) (١٩٢) .

(١٨٩) التوبختي / فرق الشيعة / ص ٤٤ .

(١٩٠) التوبختي / فرق الشيعة / ص ٤٥ .

(١٩١) التوبختي / فرق الشيعة / ص ٤٥ .

(١٩٢) التديم / القهرست / ص ٢٢٧ .

كما لعن من الغلاة أبو منصور المجلي، فقد ورد:  
(وأيها منصور المجلي قد لعنه الامام الصادق ثلاثاً، كما ذكره انكشي في  
رجاله ص ٣٠٠، وصلبه يوسف بن عمر الثقفي والي العراق في أيام هشام بن  
عبد الملك) (١٩٣).

وقد حدّد الامام الصادق عليه السلام موقفاً من أولئك الغلاة - أصحاب الفرق  
والمقاتلات المخالفة لمقيدة التوحيد -، ثم ذكر مجموعته منهم، وهم:  
المغيرة بن سعيد، وبزيع، والسري، وأبا الخطاب محمد بن أبي زينب  
الأجدة، ومعمراً، وبشار الشعيري، وحمزة البربري، وصائد النهدي، وقال:  
(لعنهم الله فإننا لا نخلو من كذاب يكذب علينا، أو عاجز الرأي، كفانا الله  
مؤونة كل كذاب وأذاقهم حرّ الحديد) (١٩٤).

وورد عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام البراءة من أولئك الغلاة في  
حديث هذا نصّه:

«يا معشر الشيعة - شيعة آل محمد - كونوا الفرقة انوسطى، يرجع إليكم  
الغالي، ويلحق بكم التالي، فقال له رجل من الأنصار يقال له سعد: جُعِلْتُ  
فداك ما الغالي؟ قال: قوم يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا، فليس أولئك  
مثا، ولستنا منهم، قال: فما التالي؟ قال: المرتاد يريد الخير، يبلغه الخير  
ويؤجر عليه» (١٩٥).

وتقل إلينا أحد أصحاب الامام الصادق عليه السلام موقف الامام حين بلغه قول  
أبي الخطاب في الغلو، ونقلت إليه مقالة أبي الخطاب فيه، قال:

(١٩٣) سعد بن عبدالله الأشعري / المقالات والفرق / ص ٤٧.

(١٩٤) رجال الكشي / ص ٣٠٥.

(١٩٥) الطبرسي / مشکاة الأنوار في غرر الأخبار / ص ٦٦ / ط ٢ / ١٣٨٥ هـ.

(فرأيتُ أبا عبد الله قد أرسل دمعته من حمالق عينيه وهو يقول: «يا رب برئتُ إليك مما ادعى في الأجدع عبد بني أسد، خشع لك شعري وبشري، عبد لك ابن عبد لك، خاضع ذليل، ثم أطرق ساعة في الأرض كأنه يناجي شيئاً، ثم رفع رأسه وهو يقول: أجل، أجل، عبد خاضع، خاشع، ذليل لرَبِّه، صاغر، راغم من رَبِّه، خائف، وجل، لي والله رب أعبد، لا أشرك به شيئاً، ما له أخواه الله وأرعبه ولا آمن روعته يوم القيامة.. ما كانت تلبية الأنبياء هكذا، ولا تليقي، ولا تلبية الرسل، إنما لبّيت: بليّيك اللهم ليّيك. ليّيك لا شريك لك» (١٩٦).

وعن سدير قال:

(قلت لأبي عبد الله عليه السلام إن قوماً يزعمون أنكم آله، يتلون بذلك علينا قرآناً: «وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله». فقال عليه السلام: «يا سدير سمعي وبصري وبشري ولحمي ودمي وشعري من هؤلاء براء، وبرئ الله منهم، ما هؤلاء على ديني ولا على دين آبائي، والله لا يجمعني الله وإياهم يوم القيامة إلا وهو ساخط عليهم» (١٩٧).

وكما كذبوا على الإمام الباقر والصادق وتبرأ منهم، كذلك كذبت فرق على الإمام موسى بن جعفر بعد وفاته، وقالوا إنه لم يمت، ولكن رُفِعَ كما رُفِعَ عيسى، وسيعود مرّة أخرى، فتبرأ ولده الإمام علي بن موسى الرضا منهم ولعنهم، وهكذا كان أهل البيت عليهم السلام يبرأون من أولئك، وهكذا كان كما قال الإمام الصادق، لا يزال يكذب على أهل البيت عليهم السلام في كل فترة كذابون،

(١٩٦) العلامة المجلسي / بحار الأنوار / ج ٤٧ / ص ٣٧٨ / ط ٣ / ١٤٠٣ هـ، عن كتاب زيد النرسي.

(١٩٧) الكليني / أصول الكافي / ج ١ / ص ٢٦٩ / ط ٢.

يستهدفون بذلك تشويه منهج أهل البيت عليهم السلام، والكيد للإسلام، وتعريض حياة الأئمة للأخطار وسوء السمعة، إلا أن أهل البيت عليهم السلام حددوا الموقف الصريح من أولئك المخربين كما أوضحنا. ومن نعم الله على الإسلام وأهله أن انقرضت تلك الفِرَق الضالة، ولم يبق منها إلا ذكرها السيئ في كتب التاريخ، والغريب أن بعض الذين في قلوبهم مرض يحاولون أن يشوهوا الحقائق ويقلبوا الأمور، فيتهموا منهج أهل البيت عليهم السلام بتلك الخرافات والأباطيل ويصوّروا المتلزمين بمنهج أهل البيت عليهم السلام بتلك الصورة الشوهاء المرفوضة المنقرضة. من هنا كان لابد من الإشارة والتنبيه على هذه الدسائس الخطرة، والمحاولات الهدامة التي تستهدف شق وحدة المسلمين وتزييف الحقيقة.

وواضح لدى المحققين والباحثين في شؤون العقائد أن هناك من ينسب إلى مذاهب المسلمين الأخرى، ويقول بالجبر والتجسيم، وأن الله جسم وله كرسي يجلس عليه، وأن كرسيه سبعة أشبار، وأن الله يدخل رجله في جهنم يوم القيامة فيطفيئ حرارتها، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا على حمار أبيض.

وواضح أن جميع هذه الأقاويل أباطيل تنافي عقيدة التوحيد، والإسلام منها براء.



## منهج أهل البيت عليه السلام في تربية أصحابهم

قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام :

«أُنِّي لأكره للرجل أن يموت ، وقد بقيت عليه خَلَّةٌ من خلال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يأت بها» (١٩٨).

لقد اعتنى أهل البيت عليهم السلام بتعليم أصحابهم وتلامذتهم وتوجيههم الوجهة الصحيحة لتجسيد العقيدة والأخلاق والأحكام والمفاهيم الإسلامية سلوكاً في واقع الحياة، وبناء وتربية الانسان المسلم وفق كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم لايجاد شخصيات اسلامية تحمل مئار الهداية والدعوة إلى الاسلام فتشجع على الآخرين العلم والعمل، وتقودهم نحو الالتزام، لتكوين تيار اسلامي في المجتمع بعد أن طرأت عليه عوامل التخريب والتحريف، والقيام ب مهمة التغيير والاصلاح الاجتماعي، ونشاهد هذه الحقيقة متجسدة في سلوكهم وأخلاقهم عليهم السلام كما نشاهد هذا الاهتمام والاتجاه واضحاً في وصاياهم وتربيتهم لتلامذتهم وأصحابهم، فهذا الامام أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام يزوج الشبهات التي روجها بعض معاصريه ممن أرادوا تحريف الاسلام وهدمه: من أن حب أهل البيت عليهم السلام والموالاة لهم يكفي الانسان المسلم، ولا حاجة إلى الالتزام بالفرائض وما أراد الله، ويوضح لهم المنهج الحق الذي يسير عليه أهل البيت عليهم السلام ، ويجب أن يسير عليه المسلمون. ويلتزموا به ، وهو منهج

العلم والاعتقاد الحق، والعمل والتطبيق لكل ما جاء في القرآن، وبلغه نبي الهدى محمد (عليه السلام)، وسار عليه في حياته. نستمتع له وهو يوضح هذه الحقيقة بقوله:

«والله ما معنا من الله براءة، وما بيننا وبين الله قرابة، ولا لنا على الله حجة، ولا يتقرب إلى الله إلا بالطاعة، فمن كان منكم مطيعاً نفعته ولايتنا، ومن كان منكم عاصياً لم تنفعه ولايتنا» (١٩٩).

وروى عمرو بن سعيد بن هلال قال:

«قلت لأبي جعفر (عليه السلام) جعلت فداك إني لا أكاد أن ألقاك إلا في السنين فأوصني بشيء آخذ به، قال: أوصيك بتقوى الله، والورع والاجتهاد، واعلم أنه لم ينفع ورع إلا بالاجتهاد» (٢٠٠).

وأوصى الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) أحد أصحابه أبا أسامة وأمره أن ينقل هذه الوصية لأتباعه، تقتطف من الوصية:

«فاتقوا الله وكونوا زيناً، ولا تكون شيناً، جزوا إلينا كل مودة، وادفعوا عنا كل قبيح، فإنه ما قيل لنا فأنحن كذلك، لنا حق في كتاب الله، وقرابة من رسول الله، وتطهير من الله، وولادة طيبة لا يدعيها أحد غيرنا إلا كذاب (٢٠١)، أكثروا ذكر الله، وذكر الموت، وتلاوة القرآن، والصلاة على النبي (عليه السلام)، فإن للصلاة عليه عشر حسنات» (٢٠٢).

(١٩٩) الطبرسي / مكارم الأخلاق / ص ٦٧.

(٢٠٠) الطبرسي / مكارم الأخلاق / ص ٦٦.

(٢٠١) يشير إلى شرف الانتساب إلى رسول الله (عليه السلام) عن طريق أمهم فاطمة الزهراء (عليها السلام).

(٢٠٢) الطبرسي / مكارم الأخلاق / ص ٦٦.

وأوصى الامام الصادق عليه السلام أحد أصحابه إسماعيل بن عمار بقوله:  
 «أوصيك بتقوى الله والورع، وصديق الحديث، وأداء الأمانة، وحسن  
 الجوار، وكثرة السجود، فبذلك أمرنا محمد عليه السلام» (٢٠٢).

وروى هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول لحمران:  
 «انظر إلى من هو دونك، ولا تنظر إلى من هو فوقك في المقدرة، فإن  
 ذلك أفتع لك بما قسم لك، وأحرى أن تستوجب الزيادة من الله، واعلم أن  
 العمل الدائم القليل على اليقين أفضل عند الله من العمل الكثير على غير  
 يقين، واعلم أنه لا ورع أرفع من اجتناب محارم الله، والكف عن أذى  
 المسلمين واغتيابهم، ولا شيء أهنأ من حسن الخلق، ولا مال أرفع من القنوع  
 باليسير المجزي، ولا جهل أضر من العُجب» (٢٠٣).

وروى الصادق عليه السلام في صفة المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وآله: أن رسول  
 الله صلى الله عليه وآله قال:

«من ساءتة سيئته، وسرته حسنته فهو مؤمن» (٢٠٤).

هذه صفة المسلم المثالي الملتزم كما سعى لصناعته وتربيته وتكوينه أهل  
 البيت عليهم السلام، وهذا هو منهجهم في بناء وتربية الأمة المسلمة والمجتمع المسلم،  
 وهذه دعوتهم التي خاطبوا بها أمة محمد عليه السلام، الالتزام بكتاب الله، وسنة  
 رسول الله صلى الله عليه وآله، وبناء الحياة على أساس ذلك الهدى، وهذا المنهج القويم،  
 فما أحرى المسلم أن يهتدي بهداهم، ويعتدي بوصاياهم، ويستمع إلى  
 تذكيرهم.

(٢٠٢) الطبرسي / مكارم الأخلاق / ص ٦٦.

(٢٠٣) المجلسي / بحار الأنوار / ج ٧٨ / ص ١٩٨، وفروع الكافي / ج ٨ / ص

٢٤٤.

(٢٠٤) الطبرسي / مكارم الأخلاق / ص ٧٧.

## الدور السياسي لأهل البيت عليه السلام

لقد عرف المسلمون مقام أهل البيت وحقهم على هذه الأمة وموقعهم السياسي الذي ينبغي أن يشغلوه، وهو موقع القيادة والامامة، لذا كان أهل البيت عليه السلام على امتداد تاريخ الاسلام السياسي هم على قمة الهرم السياسي، وفي طليعة المعارضة المستهدفة للإصلاح وتطبيق أحكام الاسلام وإقامة العدل.

وواضح لدى الدارسين لتاريخ الاسلام السياسي أن الخلافة ورعاية شؤون الأمة بعد انقراض الخلافة الراشدة تحولت إلى ملك عائلي، وسلطة وتسلط، واستئثار بالأموال والمناصب، وتعطيل لأحكام الشريعة وتلاعب بها، فسبب هذا التلاعب بالشريعة ومصالح الأمة قيام الثورات والانتفاضات والصراع المرير الدامي، فسفكت الدماء، وانتشرت الفرقة والفتن، ونشأت الأفكار والنظريات المنحرفة على طريقي نقيض. فبعضها يبرر للحكام ظلمهم وسيطرتهم على الأمة ويدعو للخنوع والاستسلام، وتحريم المعارضة وعدم نقض بيعة الظالم، والرضى به على كل حال، وبعضها استغل الفرصة للقضاء على الاسلام وأهله فدعا بدعوات ضالة جاهلية، دعا إلى إباحة المحرمات والأموال والنساء وهدم الواجبات، كالقراطة والمزكية والحزمية، وأمثالهم، وبعضهم دعا إلى القوضى والتخريب وإباحة الدماء وتكفير الجميع كالخوارج ومن تأثر بتيارهم.

وهكذا تبلبل الفكر السياسي ونشأت الاضطرابات والحروب الداخلية، وفي كل مشكلة فكرية وعقائدية تُعاشها الأمة يكون أهل البيت عليه السلام هم

الفئة الرائدة والمركزية الرسالية الموجهة للتيار السليم، والفئة المنهج الحق فيتعين رأيهم، ويأخذ بموقفهم المسلمون، العلماء والعامة، عدا من يرتبط بالسلطة، ويبرّر لها تصرفها، ويدافع عن مصالحه المترتبة بمصالحها.

وفي بحثنا هذا سنتحدث باختصار عن منهج أهل البيت عليهم السلام في العمل السياسي.

## منهج أهل البيت عليهم السلام في العمل السياسي

إنَّ من يستقري سياسة أهل البيت عليهم السلام وكفاحهم وعملهم السياسي الظاهر منه والجلي خلال قرنين ونصف تقريباً من الزمان يستطع أن يكتشف أن عملهم كان يركز على المبادئ الآتية:

١ - تربية الأمة على كراهية الظلم، وتركيز مفهوم العدل، وشرح فكرة الامامة والسياسة، وتوضيح أسس الحكم والسياسة في الاسلام، لتسمية الوعي السياسي في الأمة، وتعميق حسنها وزيادة نفقتها على الظالمين، وتحريك ركودها، ومن يستقري ما صدر عن أهل البيت عليهم السلام وما رويوا ونشروا في هذا الشأن من روايات عن رسول الله صلى الله عليه وآله يكتشف أهمية هذه الخطوة في إيقاظ الحس السياسي وتعميق الوعي الاسلامي. نذكر نماذج من الروايات والأحاديث التي نتحدث عن السلطة ومسؤولية الحاكم المسلم، ورفض الاسلام للظلم ودعوته للعدل، لتقف على جانب من فكر أهل البيت عليهم السلام، ومنهجهم في مقاومة الظلم، وتحريك الركود السياسي، ودفع الأمة للإصلاح والتغيير.

روي عن الامام الباقر عليه السلام أن شيخاً من النخع قال:

«قلت لأبي جعفر عليه السلام: أيُّ لم أزل والياً منذ زمن الحجاج إلى يومي هذا، فهل لي من توبة؟ قال: فكت ثم أعدت عليه، فقال: لا! حتى تؤدِّي إلى كل ذي حقٍّ حقَّه» (٢٠٥).

وعن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:

«لما حضر علي بن الحسين عليه السلام الوفاة ضمني إلى صدره ثم قال: يا بني أوصيك بما أوصاني به أبي عليه السلام حين حضرته الوفاة، وبما ذكر بأن أباه أوصاه به، قال: يا بني إياك وظلم من لا يحجد عليك ناصراً إلا الله» (٢٠٦).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«ما من مظلمة أشد من مظلمة لا يحجد صاحبها عليها عوناً إلا الله عز وجل» (٢٠٧).

وروى الصادق عليه السلام عن جده رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«اتقوا الظلم، فإنه ظلمات يوم القيامة» (٢٠٨).

وعن الصادق عليه السلام:

«إن الله عز وجل أوحى إلى نبي من أنبيائه في مملكة جبار من الجبارين أن انت هذا الجبار فقل له: أني لم استعملك على سفك الدماء، واتخاذ الأموال، وإنما استعملتك لتكف عني أصوات المظلومين، فإني لم أدع ظلامتهم وإن كانوا كفاراً» (٢٠٩).

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام:

«العامل بالظلم، والمعين له، والراضي به، شركاء ثلاثتهم» (٢١٠).

(٢٠٦) الكليني / الكافي / ج ٢ / باب الظلم.

(٢٠٧) الكليني / الكافي / ج ٢ / باب الظلم.

(٢٠٨) الكليني / الكافي / ج ٢ / باب الظلم.

(٢٠٩) الكليني / الكافي / ج ٢ / باب الظلم.

(٢١٠) الكليني / الكافي / ج ٢ / باب الظلم.

وقال (عليه السلام) :

«من عذر ظالماً بظلمه، سلط الله عليه من يظلمه. فإن دعا لم يستجب له، ولم يأجره الله على ظلامته» (٢١١).

وروى أبو بصير قال :

«دخل رجلان على الإمام الصادق في مداراة بينهما ومعاملة، فلما أن سمع كلامهما قال: أما أنه ما ظفر أحد بخير من ظفر بالظلم، أما إن المظلوم يأخذ من دين الظالم، أكثر مما يأخذ الظالم من دين المظلوم، ثم قال: من يفعل الشر بالناس فلا ينكر الشر إذا فعل به، أما أنه إنما يحصد ابن آدم ما يزرع، وليس يحصد أحد من المرّ حلواً، ولا من الحلو مرّاً، فاصطليح الرجلان قيل أن يقوم» (٢١٢).

وورد عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

«من مشى مع ظالم ليعينه، وهو يعلم أنه ظالم، فقد خرج من الاسلام» (٢١٣).

وروا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

«عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة، قيام ليلة وصيام نهارها، وجور ساعة في حكم أشد وأعظم عند الله من المعاصي ستين سنة» (٢١٤).

وورد عن جابر بن عبد الله الأنصاري: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

(٢١١) الكليني / الكافي / ج ٢ / باب الظلم.

(٢١٢) الكليني / الكافي / ج ٢ / باب الظلم.

(٢١٣) الطبرسي / مشكاة الأنوار / فصل انظلم / ص ٣٦٤.

(٢١٤) الطبرسي / مشكاة الأنوار / فصل انظلم / ص ٣٦٦.



«من أرضى سلطاناً بسخط الله خرج من دين الله» (٢١٥).

وروي عن رسول الله ﷺ :

«من ولي عشرة فلم يعدل بينهم جاء يوم القيامة ويده ورجلاه ورأسه في ثقب فأُس» (٢١٦).

وجاء عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام :

«أيما رجل ولي شيئاً من أمور المسلمين فأغلق بابه دونهم، وأرخص ستره، فهو في مقت من الله عز وجل ولعنه حتى يفتح بابه فيدخل إليه ذو الحاجة ومن كانت له مظلمة» (٢١٧).

وهكذا كان منهجهم في تربية أصحابهم، وبوجيه الرأي العام الاسلامي نحو التغيير والاصلاح، والدخول في ميدان العمل السياسي من بابه الطبيعي.

٢ - المقاطعة : أما الأسلوب الثاني من أساليب العمل السياسي الذي لجأ إليه أهل البيت عليهم السلام كلما تغشى الظلم والانحراف في الفهم والتطبيق، فقد اتخذوا بالإضافة إلى التوجيه وتعميق الوعي والحس السياسي، اتخذوا أسلوب المقاطعة، وقد قرأنا الحديث الشريف :

«من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم. فقد خرج من الاسلام». وقرأنا :

«العامل بالظلم، والمعين عليه، والراضي به، شركاء ثلاثتهم».

وهكذا تأتي الدعوة صريحة إلى مقاطعة الظالمين. وعدم معاونتهم، فقد ورد في حديث آخر :

(٢١٥) الطبرسي / مشكاة الأنوار / ص ٣١٨ / فصل انظلم.

(٢١٦) الطبرسي / مشكاة الأنوار / ص ٣١٦.

(٢١٧) الطبرسي / مشكاة الأنوار / ص ٣١٦.

«إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الظلمة وأعوانهم، من لاق لهم دواة، أو ربط لهم كيساً، أو مدّ لهم مدّة قلم، فاحشروهم معهم» (٢١٨).

نذكر غرضاً لهذه المقاطعة، هو موقف أئمة أهل البيت (عليهم السلام) من الحكّام الأمويين والعباسيين في عهد الامام عليّ بن الحسين السجاد ثم الامام محمد الباقر وجعفر الصادق وموسى بن جعفر وعليّ بن موسى (٢١) ومحمد الجواد (٢٢) والامام الهادي والامام الحسن العسكري.

وهكذا كانت هذه الفترة فترة مقاطعة وعدم استجابة للحكّام أو أي تعاون معهم.. وقد عانى أهل البيت (عليهم السلام) من الحكّام الأذى والمطاردة والمراقبة والسجن والتشريد والضغط والارهاب، سنعرض لجانب منها في هذا الكتاب.

ولنضرب مثلاً لتلك المقاطعة، موقف الامام الصادق (عليه السلام) من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور الذي عرف بقسوته، وسفكه للدماء وظلمه لذريته الامام عليّ (عليه السلام)، فقد ذكر المؤرخون أنّ المنصور كتب إلى الامام الصادق (عليه السلام) كتاباً يطلب منه مصاحبته، ويحاول جعله من علماء السلطة، فرفض الامام (عليه السلام) رغم الارهاب وقساوة الظروف، وردّ على المنصور ردّاً حاسماً.

جاء في كتاب المنصور:

(٢١٨) المجلسي / بحار الأنوار / ج ٧٥ / ص ٣٧٢، عن كتاب نواب الأعمال.

(٢١) قاطع الامام عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام) الحكّام في عصره إلا أنّه لظروف خاصّة قبل ولاية عهد المأمون وبشروط وتحفظات تحفظت لئلاّ يبعد عن سوء التصرف وسوء استعمال السلطة والتسلط الظالم.

(٢٢) أمّا الامام الجواد (عليه السلام) فلم تطل فترة حياته، وزوجه الخليفة المأمون ابنته، وحاول تكوين علاقة معه لاستئالة الرأي انعام الموالي لأهل البيت (عليهم السلام)، ومع ذلك فإنّ الامام الجواد لم يساهم في شيء، ولم يُعن المأمون، أو يتعاون معه.

(ولم لا نغشانا كما يغشانا الناس؟ فكتب إليه الصادق عليه السلام: ليس لنا ما نخافك من أجله، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له، ولا أنت في نعمة فنهنتك، ولا تراها نعمة فنعزّيك، فكتب إليه المنصور: «تصحبنا لتصحنا» فأجاب الصادق عليه السلام: من أراد الدنيا لا يتصحك، ومن أراد الآخرة لا يصحبك) (٢١٩).

وهكذا كان ردّ الامام وموقفه من الحاكم الذي لا يطبّق أحكام الشريعة، ولا يلتزم بعبادتها.

وعلى هذا النهج، نهج مقاطعة الحكام الذين يمارسون الظلم، ولا يطبقون أحكام الشريعة سار فقهاء أهل البيت عليهم السلام، فأفتوا بحرمة معونة الظالم، أو تولّي الوظائف له، فقد تبيّن الفقهاء جميعهم ذلك في كتب الفقه - باب المكاسب المحرّمة - تذكر منها قول الشهيد السعيد محمد بن جمال <sup>(٥)</sup> مكي العاملي رحمته الله (المعروف بالشهيد الأوّل)، قال رحمته الله في معرض تعداده للمكاسب المحرّمة: (ومعونة الظالمين بالظلم، وعلّق الشارح عليها بقوله: كالكتابة لهم واحضار المظلوم ونحوه) (٢٢٠).

وحرم الفقهاء قبول الوظائف للظالم أو الانضمام إلى أيّ مجال من مجالات السلطة إلّا إذا كان الهدف خدمة الاسلام من خلال الموقع، ودفع الظلم عن الآخرين، وعدم معونة الظالم بشكل يفوق ما يحققه من يتولّى منصباً من اصلاح ومنفعة.

(٢١٩) محمود أبو زهرة / الامام الصادق عليه السلام / ص ١٣٩.

(\*) من عطاء فقهاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، عاش في الفترة ما بين (٧٣٤ -

٧٨٦) هـ.

(٢٢٠) الشهيد الثاني / الروضة البهية في شرح اللمعة اندمشية للشهيد الأوّل / ج ٣ /

ص ٢٦٣ / ط ٢.

٣ - الثورة وإسناد الثوار واستعمال القوة: مبدأ الثورة ضدّ الظالم، وعدم اقرار الظلم، مبدأ إسلامي يقرّره واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويلتزم المسلمون به، فقد ورد عن رسول الله ﷺ :

«سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى سلطان جائر، فأمره ونهاه فقتله».

ومن يتابع سيرة أهل البيت عليهم السلام السياسية وكفاحهم ومعارضتهم يجدهم خط معارضة، ودعاة اصلاح وكفاح، وقادة مسيرة السياسة، فقد رفض أهل البيت عليهم السلام مبدأ الوراثة في الحكم الذي فرض على الأمة الإسلامية أيام معاوية بن أبي سفيان، وتسلب ابنه يزيد على رقاب المسلمين، الذي لم يكن مؤقلاً للخلافة، وفاقداً لكل شرط من شروطها، فجزّأها إلى الفساد والانحراف مما جعل الامام الحسين السبط بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام يعلن الثورة، ويتوجّه من المدينة إلى العراق بعد أن استقرّ في مكّة نحو أربعة أشهر، وهناك في كربلاء في أرض العراق، كانت المعركة، وانطلاقة الثورة، وسلال الدم المقدّس، وشهادة السبط الحسين عليه السلام، فهرّ ضمير الأمة، وحرك ركودها بدمه الناهر، ودم أهل بيته وصحبه الأبرار، انّذي فاق عددهم على السبعين شهيداً، لقد كانت هذه الثورة أوّل ثورة في الاسلام ضدّ الحاكم الظالم، وخلع البيعة المزيفة، والاعلان عن اسقاط الحكم الفاسد المخالف لمبادئ الاسلام، مقابل دعوات الخنوع والاستسلام، وتخدير الرأي العام، من قبل علماء قصور الحكماء الذين كانوا يرفعون شعار الالتزام بالبيعة للظالم، والوفاء بالعهد له مهما يفعل، متناسين قول رسول الله ﷺ : «ليس لمستعص يمين»، وقوله ﷺ :

«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

ومتغافلين عن قول الله تعالى :

﴿وَلَا تَزْكُرُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَعُوا فَفَتَنَكُمْ النَّارَ﴾. (هود / ١١٣)

أما السبط الشهيد الحسين بن علي (عليه السلام) فقد رفع شعار الثورة واستشهد في العاشر من محرم عام (٦١) هـ، في كربلاء العراق، ومزق كل تلك الشعارات، وأسقط هذه النظريات المضللة، فعلا صوت الندم والشهادة فوق صوت الطمع والخنوع.

وقد حدّد الامام الحسين الشهيد (عليه السلام) للأمة منهاج ثورته ودوافعها بقوله: «لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أريد أن آمر بالمعروف، وأنهي عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي» (٢٢١).

ثم حدّد للأمة صفة الإمام، والقائد الذي يقود المسلمين، ووجوب الثورة وتغيير الحاكم إذا انحرف عن هذه المبادئ، وأصرّ على موقفه.

قال (عليه السلام) في رسالة لأهل الكوفة:

«فلعمري ما الامام إلا الحاكم القائم بالقسط، الدائن بدين الحق، الحابس نفسه على ذات الله» (٢٢٢).

وكتب إلى زعماء البصرة كتاباً جاء فيه:

«وإنا أدعوكم إلى كتاب الله، وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم)، فإن السنة قد أميتت، وإن البدعة قد أحييت، وإن تسمعوا قولي، وتطيعوا أمري، أهدكم سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله» (٢٢٣).

وهكذا ثبت الامام الحسين (عليه السلام) مشروعية الثورة على الحاكم الظالم،

(٢٢١) الخوارزمي / مقتل الحسين / ج ١ / ص ٨٨.

(٢٢٢) الشيخ المفيد / الارشاد / ص ٤-٢.

(٢٢٣) عبدالرزاق المقرئ / مقتل الحسين / ص ١٤١ - ١٤٢.

وأعلن مبدأ الكفاح والجهاد المقدس ضدّه.

وفي سيرة أهل البيت عليهم السلام السياسية نقرأ أسنادهم للتورات العلوية التي استمرت أكثر من قرنين من الزمان في طول البلاد الإسلامية وعرضها بعد ثورة الحسين عليه السلام المباركة.

فكانت ثورة زيد بن الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام حفيد الإمام الحسين الشهيد عليه السلام سنة (١٢١) هـ، وكانت الثورة في عهد الإمام الصادق عليه السلام فأيد ثورته وقجع بشهادته (\*).

فمن فضيل الزّمان قال:

(دخلتُ على أبي عبد الله بعدما قتل زيد بن عليّ فأدخلت بيتاً جَوْفَ بيت، فقال لي: يا فضيل قُتِلَ عَمِّي زيد؟ قلت: جُعِلَتْ فداك، قال: رحمه الله، أما أنّه كان مؤمناً، وكان عارفاً، وكان علماً، وكان صدوقاً، أما أنّه لو ظفر لوفى، أما أنّه لو ملك لعرف كيف يضعها) (٧٢٤).

وهكذا كان التأييد للثورة والتّوار، وكان التفاهم والالتقاء بين أمّة أهل البيت عليهم السلام والتّوار العلويين.

ومن الأمثلة الرائعة لهذا النمط من العمل السياسي هو موقف الإمام الكاظم عليه السلام من الحسين بن عليّ صاحب ثورة فخ الشهيرة في شهر ذي القعدة عام (١٦٩) هـ في المدينة المنورة.

فإنّ التصريحات والوثائق التاريخية تشير إلى تأييد الإمام لمبدأ الثورة على

(\*) من الجدير بالذكر أنّ أبا حنيفة إمام المذهب الحنفي قد أيد ثورة زيد وأُعتق بصرف الزكاة لهذه الثورة.

(٢٢٤) العلامة المجلسي / بحار الأنوار / ج ٤٧ / ص ٣٢٥ / ط ٢، عن كتاب رجال النكّتي.

الحكم الظالم، ووقوفه إلى جانب الثوار وتمازجه معهم. رغم أنه كان يرى فشل تلك الثورة نظراً لعدم توفر الظروف الطبيعية الكافية لنجاحها. لذلك خاطب قائد الثورة حين رآه عازماً على الثورة بقوله:

«أنت مقتول فأحد الضراب، فإن القوم قُتِلوا، يُظهرون إيماناً، ويُضربون نفاقاً وشركاً، فإننا لله وإنا إليه راجعون، وعند الله أحْتَسِبُكم من عُصبة» (٢٢٥).  
 وحين استشهد الحسين وأصحابه وحيء بالرووس إلى المستلطين من رجال الحكم العباسي (إلى موسى والعباس) وقيل للامام هذا رأس الحسين؟ قال:

«نعم، إنا لله وإنا إليه راجعون، مضى والله مسلماً صالحاً، صواماً آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، ما كان في أهل بيته مثله» (٢٢٦).  
 ولقد كان الحسين يدعو الناس بقوله:

«أدعوكم إلى الرضى من آل محمد (عليه السلام)، وعلى أن نعمل فيكم بكتاب الله، وسنة نبيه (عليه السلام)، والعدل في الرعية» (٢٢٧).

فدعوة الثائر العلوي صريحة إلى الشخص المرضي والمؤهل للخلافة من آل محمد (عليه السلام)، وربما عني بذلك الامام الكاظم (عليه السلام) نفسه، كما كان موقف زيد وتصريح الامام الصادق بالترحم عليه، وأنه كان يسعى لوضع الأمور في موضعها، كان ينوي تسليمها للإمام جعفر بن محمد (عليه السلام).

إن الخليفة العباسي أدرك تأييد الامام لثورة الحسين صاحب معركة فخ. نقل العلامة المجلسي موقف الخليفة العباسي بقوله:

(٢٢٥) أبو الفرج الاصفهاني / مقاتل الطالبين / ص ٤٤٧.

(٢٢٦) أبو الفرج الاصفهاني / مقاتل الطالبين / ص ٤٥٥.

(٢٢٧) أبو الفرج الاصفهاني / مقاتل الطالبين / ص ٤٥٠.

(وأخذ من الطالبين وجعل يتنازل منهم - إلى أن ذكر موسى بن جعفر عليه السلام - فقال منه، قال: والله ما خرج حسين إلا عن أمره، ولا أتبع إلا محبته، لأنه صاحب الوصية في أهل هذا البيت، قتلني الله إن أبقيت عليه) (٢٢٨).  
وقد أعلن الامام الجواد عليه السلام موقفه من الثورة والثوار. وهو حفيد الإمام الكاظم عليه السلام بقوله:

«لم يكن لنا بعد الطّف مصرع أعظم من فتح» (٢٢٩).

وهكذا قرأنا أمثلة من الثورة، وتأييد الثوار من قبل أهل البيت عليه السلام، بحيث أصبح ذلك منهجاً وأسلوباً من أساليب العمل السياسي الذي اكتسب بثورتهم وتأييدهم الشرعية.

٤ - المقاومة السياسية: وللمقاومة السياسية دورها وأهميتها في حياة الأمة السياسية كلما ظهر حاكم ظالم لا يطبق أحكام الله، ولا يقيم العدل بين الناس، وقد احتل كل إمام من أئمة أهل البيت عليه السلام دور القيادة والزعامة السياسية في عصره، وكان رمز المعارضة في وعي الجماهير ودعاة الإصلاح وقادته، فقد كان وجود كل إمام من أئمة أهل البيت عليه السلام يجسّد كيان المعارضة، ويمنحه الشرعية، وكان خلفاء بني أمية وبني العباس الذين شهد التاريخ بابتعادهم عن الاسلام، وعدم التزامهم به، وغياب العدل تحت سلطتهم، يعرفون مقام أئمة أهل البيت عليه السلام، وموقعهم في ضمير الأمة ووعياها، وكانوا يعملون للتخلص منهم وابعاد الرأي العام عنهم بشتى الوسائل، الارهاب والرشوة، والقتل، والسجون، والمناصب... الخ.

لذلك نشاهد موقف معاوية من الامام علي عليه السلام، ومحاربه له، والتفرد على

(٢٢٨) العلامة المجلسي / بحار الأنوار / ج ٤٨ / ص ١٥٦، عن مهج الدعوات.

(٢٢٩) المجلسي / البحار / ج ٤٨ / ص ١٦٥، نقلاً عن كتاب عمده الطائفة.



خلافته الشرعية .

وموقفه من الامام الحسن بن علي عليهما السلام ومحاربتيه له وتمرده على خلافته  
الشرعية ، تم دس السم له وقتله سنة ( ٥٠ ) هـ .

وموقف يزيد بن معاوية من الامام الحسين ، وقتله له ولأهل بيته وسبيته  
لذراري رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما قاد الامام الحسين عليه السلام الثورة والمعارضة  
ضد الحكم الأموي المتسلط على رقاب الناس .

وبعد الحسين الشهيد كان المسلمون يرون في علي بن الحسين عليهما السلام ، الرمز  
والموجه لهم ، لذلك كان التوار يستأذنونهم ، وحدثت عدة ثورات للدفاع عن  
أهل البيت عليهم السلام في عهده ، كتورة المدينة ، وثورة مكة ، وثورة المختار ، وثورة  
التوابين ، انتقاماً من قتلة الامام السبط الشهيد الحسين بن علي عليهما السلام ، وفي  
هذه الفترة كان السجادة في نظر الأمة والتوارفة المعارضة رغم أنه لم يظهر أي  
تحرك ، ولقد كان موقفه من يزيد بن معاوية ، ومروان بن الحكم ، وعبد الملك  
ابن مروان ، وغيرهم من الحكام موقف الرفض والمقاوم مقاومة سياسية  
صامتة ومؤبداً تأييداً غير معلن للتوار ، حتى أنه أظهر الترحم على المختار  
الذي اقتصر من قتلة الامام الحسين عليه السلام ، وأثنى على ثورته ، كما استعمل  
سلاح الدعاء (\*) الذي كان يحمل موقفه ورأيه السياسي والعقائدي المعارض .  
وجاء بعده دور ولده الامام محمد الباقر عليه السلام ، فكان له موقف المعارضة  
والمقاومة السياسية من الحكم الأموي .

وما عانى من الحكام الأمويين - خصوصاً - هشام بن عبد الملك ، الذي  
أظهر العداوة والكرهية للعلويين كان دليلاً على ذلك .

لقد بدأ تحركاً علوياً في عصره فكان الوجه البارز له هو زيد بن علي بن

(\*) جمعت أدعية الامام السجادة عليه السلام في صحيفة تسمى الصحيفة السجادية .

الحسين عليه السلام أخو الامام محمد الباقر عليه السلام .

لقد كان الخليفة الأموي وانقاً من أن مصدر الوعي والتحرك السياسي هو الامام الباقر وولده جعفر الصادق عليهما السلام فاستدعاهما معاً من المدينة المنورة إلى عاصمته في الشام، وحين قدم على الخليفة الأموي ودخل مجلسه ثم سلّم مشيراً إلى الحاضرين بيده. ولم يسلم عليه بالخلافة، وجلس بغير إذنه، ازداد هشام عليه حقداً ثم قال:

(«يا محمد بن علي لا يزال الرجل منكم قد شق عصا المسلمين ودعا إلى نفسه، وزعم أنه الامام سقهاً وقلة علم»).

وجعل يوبخه، فلما سكّت أقبل الحاضرون على توبيخ الامام عملاً بتوصية هشام للحاضرين قبل دخول الامام عليه، فلما رأى الامام ذلك الموقف، قام خطيباً وسط المجلس، وردّ عليهم بقوله:

«أيها الناس أين تذهبون؟ وأين يراد بكم؟ بنا هدى الله أولكم، وبنا يختم آخركم، فإن يكن لكم ملك معجل، فإن لنا ملكاً مؤجلاً، وليس من بعد ملكنا ملك، لأننا أهل العاقبة».

يقول الله عز وجل:

﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

فأمر به هشام إلى الحبس (٢٣٠).

وهكذا أودعوا الامام السجن، فاستثمر الامام عليه السلام وجوده بين السجناء، وراح يواصل دوره الجهادي والعلمي في التعنيف والتوعية السياسية. فوجه صاحب السجن إلى هشام وأخبره بتأثير الامام، وإحداثه ضجة وسط

السجن، فخاف هشام من هذا التأثير، فأمر بإخراجه من السجن، واعدته إلى المدينة هو وأصحابه بواسطة البريد الرسمي للدولة (٢٣١).

أما ابن جرير الطبري فأفاد بأن سبب إعادة الامام إلى المدينة هو انتشار تأثيره الفكري بين جماهير الشام أثر حوار جرى بينه وبين زعيم النصارى (٢٣٢).

وفي حوار جرى بين هشام بن عبد الملك وبين زيد حين بلغه نشاط زيد وتحركه، قال هشام لزيد:

(بلغني أنك تذكر الخلافة وتتمناها، ولست أهلاً لها، وأنت ابن أمة).

فرد عليه محتجاً بأن النبي إسماعيل كان ابن أمة، وآتاه الله النبوة. ثم أخذ هشام يذكر الامام ويتهكم عليه أمام زيد، سأل هشام زيدا:

(وأخوك البقرة، فقال زيد: سمّاه رسول الله ﷺ الباقر عليه السلام). وتسمّيه البقرة، لنسب ما اختلفت، لتخالفته في الآخرة. كما خالفته في الدنيا، فيرد الجنة وترد النار).

وهكذا كان موقف الامام الباقر عليه السلام ومعارضته السياسية حتى توفاه الله إليه.

ثم جاء من بعده دور ولده الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وفي هذه الفترة اشتدّت المحنة على الأمة بصورة عامة، وعلى آل الرسول ﷺ

(٢٣١) ابن شهر آشوب / المناقب / ج ٤.

(٢٣٢) محمد بن جرير الطبري / دلائل الامامة / حياة الباقر عليه السلام.

(\*) يشير إلى قول الرسول الكريم ﷺ إلى الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري: أنك مدرك أحد ولد الحسين، والله سيقرّ بعلم فاجرته عنّي السلام، لذلك سمّي الامام الباقر بهذا الاسم.

بصورة خاصة.

لقد كان الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام زعيم المعارضة والمقاومة السياسية، رغم صمته وعدم تعرّضه المكشوف للسلطة، فكان الثّوار يستشيرونه، ويطلبون منه اسناد تحركاتهم، أو تقبل القيادة منهم. كما فعل أبو مسلم الخراساني حيث عرض عليه البيعة فرفضها لعلمه بعدم اكتمال الشروط الموضوعية المناسبة، وكما كان موقفه من ثورة زيد أيام هشام بن عبدالملك الأموي.

نقد كان أبو العباس السفّاح يعرف دور الامام وقيادته للمعارضة، وكان يخاف شخص الامام، لذا فقد حاول قتله والتخلّص منه، ولكن الله حال بينه وبين ذلك، فقد استدعاه من المدينة المنورة إلى الحيرة مرّة وضيق عليه، وكان يراقبه ويتجسس عليه.

وعندما تسلّم أبو جعفر المنصور منصب السلطة في الدولة العباسية كان كلفه السفّاح يخشى زعامة الامام الصادق عليه السلام وجلسه على قبة هرم المعارضة، وقد استدعاه وجلبه من المدينة المنورة إلى العراق مرّات. وكان يعبر عن قوّة شخصية الامام عليه السلام السياسية وتأثيره في أوساط المعارضة وخوفه منه بقوله:

(وهذا الشجن المعترض في حلق الخلفاء، الذي لا يجوز نفيه، ولا يحلّ قتله، ولو لا ما تجمعي وإتياء من شجرة طاب أصلها، ويسق قرعها، وعذب ثمرها، وبوركنت في الذرية، وقدّست في الزبر، لكان في ما لا يحمد في العواقب لما بلغني من شدّة عييه لنا، وسوء القول فينا) (٢٣٣).

وهكذا كان موقف الامام الصادق عليه السلام موقف المعارضة السياسية،

واحتلال موقع القيادة في تحركاتها.

ثم جاء دور الامام موسى بن جعفر عليه السلام ابن الامام الصادق عليه السلام ، الذي تجسّد فيه الموقف السياسي والصراع العنيف، فقد وقف الامام بوجه الحكام العباسيين الذين عرّفوا بانحرافهم عن الاسلام، وامتهانهم للأمة، واستئثارهم دون المسلمين بالمال والسلطة.

لقد وُضِعَ الامام الكاظم عليه السلام تحت الرقابة وعبّون الجواسيس أيام أبي جعفر المنصور الذي بالغ في ظلم العلويين، وصادر أموالهم، وبني عليهم اسطوانات القصور والجسور وهم أحياء، وعذبهم في السجون والطواير.

وفي أيام محمد المهدي العباسي اشتدّت المخاوف من شخصية الامام الكاظم عليه السلام فاستدعاه من المدينة المنورة إلى بغداد لمحاكمته، والتحقيق معه، وزجّه في السجن إلى أن رأى الخليفة العباسي الامام علي بن أبي طالب عليه السلام في المنام، وهو يقول له: يا محمد:

﴿فَهَلْ عَمَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطَعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾.

(محمد / ٢٢)

ففرغ المهدي وأخرج الامام الكاظم عليه السلام من سجنه.

وفي أيام الهادي العباسي اشتدّت الحنة على الامام وعلى آل علي عليه السلام ، وراح يطاردهم ويقتلهم ويستأصل وجودهم خصوصاً بعد ثورة الحسين بن علي صاحب وقعة فخ، وقد أصاب الكاظم عليه السلام شدة وضيق، حتى أن الهادي هذد الامام بالقتل وشرع في تنفيذ ذلك، ونقل المؤرّخون أن القاضي أبا يوسف صاحب الامام أبي حنيفة تدخّل في الأمر فحال بين الهادي وبين قتل الامام الكاظم عليه السلام . حتى أنه قال: قتلتني الله إن عفوت عن موسى بن جعفر. ثم قرّر اعتقال الامام وسجنه، والحيلولة دونه ودون ممارسة دوره العلمي

والقيادي في أوساط الأئمة وعاجلت الهادي العباسي المنتهية، وانتهت مرحلة الصراع القاسي المرير معه.

وجاء دور هارون الرشيد، فكان صراعاً ضارياً، ونزاعاً عنيفاً بينه وبين الامام موسى بن جعفر عليه السلام، فاستدعاه من المدينة المنورة إلى العراق وبائع في أذى الامام وسجنه وتعذيبه وتقييده وإتقانه بالحديد ونقله من سجن إلى سجن حتى مكث فيها عدة سنين، ثم استشهد مسموماً في بغداد على يد السندي بن شاهر مدير شرطة الرشيد. وبأمر منه في الخامس والعشرين من شهر رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة للهجرة.

ثم جاء دور الامام علي الرضا عليه السلام بن الامام موسى بن جعفر عليه السلام، الذي أصبح زعيماً بارزاً، وقيادة سياسية، فرض وجوده على الحكم والسلطة العباسية، نتيجة لاستناد المعارضة وقوة شخصية الامام، وحب الأئمة له. فاضطره المأمون العباسي أن يكون ولياً للعهد، فقبل مضطراً بشرط أن لا يدخل في شيء من شؤون السلطة، وأن الخلافة تؤول إليه بعد موت المأمون، واستشهد مسموماً والمأمون حي سنة (٢٠٣) هـ.

ومن بعده تولى شؤون الامامة وزعامة آل البيت عليهم السلام ولده الامام محمد الجواد عليه السلام، الذي عاصر المأمون العباسي فترة من الزمن فعامله المأمون بالاحترام والتقدير، وزوجه ابنته أم الفضل ليكسب ود الأئمة. ويستقطب الرأي ويستميل المعارضة التي كان يقودها الامام إليه. إلا أنه لم يكسب من موقف الامام شيئاً، وترك الامام بغداد وعاد إلى مدينة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله ليواصل مهامه العلمية ودوره القيادي هناك.

وبعد موت المأمون تولى أمور الخلافة ولده المعصم، فاستشعر من وجود الامام الخطر وهو في المدينة المنورة، فاستدعاه كما فعل سلفه من حكام بني العباس وأحضره إلى بغداد، فأقام فيها ليكون تحت الرقابة المباشرة للسلطة.

وليكون بعيداً عن العاصمة العنمية (المدينة المنورة)، وبعداً عن مركز التأثير ليعزله عن القاعدة الجاهلية، وعن التأثير العلمي والفكري أيضاً، ويذكر المؤرخون أنه توفي مسموماً في السنة التي استدعي فيها إلى بغداد سنة (٢٢٥) هـ.

وحين انتهت الإمامة إلى عليّ الهادي عليه السلام ابن الامام محمد الجواد سنة (٢٢٥) هـ بعد وفاة أبيه محمد الجواد عليه السلام، كان هو المتولي لشؤون الإمامة والزعامة السياسية، وقد تصدّت له أجهزة الحكم العباسي أيام سلطة المتوكل الذي عُرِفَ ببلهوه ومجونه وعداوته لآل الرسول عليه السلام، وقتله لهم ومطاردته إياهم، وقطع أرزاقهم، ومنع الناس من مساعدتهم، كان الامام الهادي ينير رعيه وفرعه، لذلك استدعاء من المدينة المنورة، من مدينة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى سامراء ليكون تحت الرقابة، وفرض عليه الإقامة الجبرية في سامراء، ولقد عرّضه المتوكل العباسي مرّات عديدة للتهديد ومحاولة القتل والسجن، وفُتّشت داره، وهُوِجِمَ بيته، وشدّد عليه في الرقابة والتجسس مخافة قيادته ودوره السياسي في أوساط الأمة واستقطابه للرأي العام.

وقد ذكر المؤرخون وأصحاب السير سبب جلب المتوكل للامام الهادي عليه السلام، نذكر منها قول سبط ابن الجوزي:

(قال علماء السير: وأما أشخصه المتوكل من مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بغداد، كان يبغض عليّاً وذريته، فبلغه مقام عليّ الهادي بالمدينة، وميل الناس إليه، فخاف منه) (٢٣٤).

وبعد وفاة الامام عليّ الهادي عليه السلام سنة (٢٥٤) هـ في سامراء تولى شؤون الإمامة والزعامة الدينية والسياسية ولده الامام أبو محمد الحسن عليه السلام، الذي

انتقل إلى سامراء برفقة أبيه عندما استدعاه المتوكل، فكان كتاباته في موقفه من الحكم العباسيين، موقف المعارضة والمواجهة السياسية، فعانى من حكم عصره ما عانى آباؤه من حكم عصورهم، فقد أودى واضطهد في سامراء وسجن فيها، فقد سجنه المهتدي بن الواثق العباسي، وسلمه سجانين عرفوا بالقسوة والارهاب، إلا أن الامام أثر فيهم فاهتدوا وصلحوا.

وقد حفظ لنا التاريخ بعضاً من هذه المحنة القاسية التي مر بها الامام عليه السلام ترون فيها ما حدث به أحمد بن محمد، قال:

(كتب إلى أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام، حين أخذ المهتدي في قتل الموالي وقلت: يا سيدي، الحمد لله الذي شفعه عنك فقد بلغني أنه يستهدك ويقول: والله لأجلبنهم عن جديد الأرض، فوقع أبو محمد بخطه: ذاك أقصر عمره) (٢٣٤).

ويذكر أن الامام الحسن العسكري عليه السلام كان في الحبس في عهد المعتمد أيضاً حتى استدعاه المعتمد ليحل مشكلة حصلت للمسلمين مع رهبان النصراني تتعلق بقضية الاستسقاء، فأوجد لها الامام عليه السلام الحل والجواب، فأطلق سراحه من السجن، كما طالب بإطلاق أصحابه الذين كانوا معه في السجن فأطلقوا.

تلك لحظة تاريخية موجزة عن تاريخ أهل البيت عليه السلام السياسي، وكفاحهم ضد حكم عصرهم المتسلطين، ولا بد لنا من أن نطيل النظر في هذه السلسلة المباركة، وترباط حلقات مسيرة أهل البيت عليه السلام، وكيف أن أحد عشر إماماً كل واحد منهم زعيم عصره، وقائد أمته، وأعلم العلماء في زمانه، أن مثل هذا لا يكون أمراً عفوياً، ولا يحدث مصادفة، إنما حدث عن طريق تسلسل



الامامة والقيادة في أهل هذا البيت عليهم السلام، مما يعرفنا بمقامهم، ودورهم  
العقائدي والسياسي في حياة هذه الأمة.

## نظرة في المدارس الفقهية

كان المسلمون أيام رسول الله ﷺ يتلقون الأحكام والقوانين التي تنظم شؤون مجتمعاتهم وعباداتهم، كأحكام الصلاة والأسرة والميراث والتجارة والجهاد والحج والاجارة والأرض والقضاء وأمثالها، كانوا يتلقونها من رسول الله ﷺ فهو مبلّغ الرسالة، والداعي إلى الهدى، والناطق بلسان الوحي، وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، كانوا يرجعون إلى كتاب الله، وسنة نبيه، يأخذون منها الأحكام والقوانين، والموافق الشرعية، عن طريق الصحابة، وأهل البيت عليهم السلام، الذين حفظوا السنة، ووعوا كتاب الله، وكان طبعاً أن يتطور المجتمع الاسلامي، وتنشع الحياة المدنية، وتبرز مائل جديدة، وتحدث أحداث ووقائع مستجدة، في مجالات الحياة الانسانية، تحتاج إلى بيان رأي الاسلام فيها، وتحديد القانون والحكم الشرعي الذي ينظمها، فبدأ هذا النمو والانتساع في الفقه والتشريع في أواخر القرن الأول تقريباً، وكان ذلك في عهد الامام محمد الباقر بن علي بن الحسين عليه السلام، فكان الامام الباقر كما ثبت ذلك الفقهاء وعلماء الحديث والرجال والسير هو عالم المدينة، ومرجع العلماء في عصره، لذلك سمي بالباقر، لتوسعه في العلوم ونشره لها، ثم شهدت العلوم الاسلامية والفقه والتشريع ازدهارها في أيام ولده الامام جعفر بن محمد الصادق الذي كان استاذاً لبعض أئمة المذاهب الاسلامية، وما كان الامامان الباقر والصادق بمجتهدين، بل كانا راويين لسنة رسول الله ﷺ، ومبشرين لما حوى كتاب الله، وفي هذه المرحلة، أيام الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بدأت بعض المدارس الفقهية تظهر كمدرسة الرأي والقياس - مدرسة الامام أبي حنيفة (النعمان بن ثابت) - الذي تتلمذ

مدة على يد الامام الصادق عليه السلام ، ومدارس فقهية أخرى تحدت فيما بعد في أربع مدارس هي : (الحنفية، والمالكية، والحنبلية، والشافعية) مختلفة فيما بينها في مناهج الاجتهاد، وقبول الرواية، إلى جانب مدرسة النص التي كان يترعها الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، والتي كانت تعتمد : (الكتاب والسنة) كمصدرين وحيدين للأحكام والقوانين الاسلامية، وترفض الرأي والقياس الحنفي كما ترفض المصادر التشريعية الأخرى، في حين تبنت المدارس الفقهية الأربع مصادر تشريعية أخرى إلى جانب الكتاب والسنة، اعتمدتها في الاجتهاد والاستنباط، كما اعتمدت الكتاب والسنة، وأهمها :

١ - القياس (٥).

٢ - الاستحسان.

٣ - المصالح المرسلة.

٤ - فتح الذرائع وسدها.

وقد اختلفت المذاهب الاسلامية الأربعة : (الحنفية، المالكية، الحنبلية، الشافعية) فيما بينها في قبول هذه المصادر وعدم قبولها، ولم يتفقوا جميعاً عليها، فبعضهم يقر هذا المصدر، وبعضهم يرفض ذلك .

وبسبب الاعتماد على قبول بعض هذه المصادر، أو رفض بعضها من قبل المذاهب الفقهية الأربعة، نشأ الخلاف الفقهي ووجهات النظر الاجتهادية فيما بينها، إلى جانب المدرسة الفقهية - مدرسة النص التي كان يترعها أئمة أهل

---

(٥) القياس الذي رفضته مدرسة النص - مدرسة أئمة أهل البيت عليهم السلام - هو قياس الحكم الجزئي على جزئي آخر (القياس التثنيي كما يسميه علماء المنطق) وتبنت هذه المدرسة القياس العلمي الذي هو عبارة عن رد الفروع إلى أصولها أو تطبيق القاعدة الكلية على جزئياتها.

البيت عليه السلام - لذلك ظهر الخلاف بين هذه المدارس الفقهية الخمسة في الأحكام الجزئية. وإذن فَرَدَ هذا الخلاف يرجع بصورة أساسية إلى سببين رئيسين هما:

١ - تبني بعض مصادر التشريع إلى جانب الكتاب والسنة، من قبل البعض، ورفضها من قبل الآخرين.

٢ - الخلاف في قبول بعض الروايات، وعدم قبولها، تبعاً لشروط قبول الرواية، وتصديق بعض الرواة، أو عدم تصديقهم.

وهكذا نعرف أنَّ الخلاف بين مذاهب الفقه والتشريع هو خلاف علمي، وليس بين المسلمين اليوم خلاف عملي غير هذا الخلاف.

والخلاف العلمي لا يصح أن يكون سبباً للفرقة والتباعد بين أبناء الأمة الإسلامية الواحدة، ويمكن علاج هذا الخلاف الفقهي بالحوار والبحث العلمي القائم على أسس موضوعية ومسلمات أساسية يجمع عليها المسلمون جميعاً، ويفتح باب الاجتهاد <sup>(\*)</sup> المطلق عند بعض مذاهب المسلمين. وينبغي الانتباه هنا إلى أنَّ هذا الخلاف الفقهي، ليس خلافاً بين سنة وشيعة، بل هو خلاف بين مدارس ومذاهب فقهية، تعدُّ الآن بسنة مذاهب: (الحنفية والمالكية والحنبلية والشافعية والمعفرية والزيدية) إضافة إلى آراء واجتهادات فقهية لبعض الفقهاء تقع في هذا الإطار أو خارجه، وعندما يفتح باب الاجتهاد لدى المسلمين جميعاً ويمارس الفقهاء عملهم العلمي، يمكنهم أن يحدّدوا الأصول الاستنباطية، ومصادر التشريع، وكيفية استفادة الأحكام من المصدر الأساس (الكتاب والسنة)، فبالرجوع إليهما وتنقيح الروايات والأحاديث واسقاط المدسوس والغريب منها، من دون تعصّب أو ميل لرأي، أو معتقد

(\*) الاجتهاد: هو عملية استخراج الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية.

دون دليل علمي، يستطيع المسلمون أن يبلغوا كثيراً من انشاكل الخلافية، ويكتشفوا الصواب العلمي ويوحدوا صفوفهم وأرائهم، بيد أن وجهات النظر العلمية بين العلماء والفقهاء سنقى قائمة، كما هي الحال بين فقهاء كل مذهب من مذاهب المسلمين، فتللك حقيقة علمية تقع في كل حقل من حقول العلم والمعرفة الانسانية، وهي لا يذ وأن تقع في حقل الاجتهاد والاستنباط، لأن الفقهاء ليس بوسعهم أن يكتشفوا الأحكام الواقعية جميعها، بل المجتهد يخطئ ويصيب، وهو معذور في عمله هذا، ومتاب عليه ما دام عمله قائماً على أسس علمية، وشرعية صحيحة.

وفيما يلي نذكر نماذج من الآراء الفقهية، وكيف أن بعض هذه الآراء تلتقي، أو تختلف فيما بينها، بغض النظر عن كونها تنتمي إلى السنة أو الشيعة، فشلاً؛ قال الامامية والحنابلة: إن الشهد الأول (في الصلاة) واجب، وقالت الحنفية والشافعية والمالكية: بأنه مستحب، وليس بواجب.

أما الشهد الأخير فقال الشافعية والامامية والحنابلة بوجوبه، وقال المالكية والحنفية: مستحب وليس بواجب (٢٣٦).

قال انشافعية والمالكية والحنابلة: التسليم (في الصلاة) واجب، وقال الحنفية: ليس بواجب، واختلف الامامية، فقال جماعة بالوجوب، وآخرون بالاستحباب، ومن القائلين بالاستحباب: المفيد والشيخ الطوسي والعلامة الحلي (٢٣٧).

وفي صلاة الجماعة قالت الحنابلة أنها واجبة وجوباً عينياً على كل فرد مع

(٢٣٦) بداية المجتهد / ج ١ / ص ١٢٥.

(٢٣٧) الشيخ محمد جواد مقنية / الفقه على المذاهب الخمسة / ط ٦ / دار العلم

للملأين / ص ١١٤.

القدرة ولكن إذا تركها وصلى منفرداً أثم وصحت صلاته .  
وقال الامامية والحنفية والمالكية وأكثر الشافعية : لا تجب عيناً ولا كفاية ،  
وأنما تستحب استحباباً مؤكداً .

وفي استحقاق الزكاة ، قال الشافعية والحنابلة : من وجد نصف كفايته  
لا يعد فقيراً ولا تجوز له الزكاة ، وقال الامامية والمالكية : الفقير الشرعي من  
لا يملك مؤنة السنة له ولعيلائه ، فمن كان عنده ضيعة أو عقار أو مواشي  
لا نكفي عياله طول السنة يجوز اعطاؤه من الزكاة .  
وقال الامامية والشافعية والحنابلة : من قدر على الاكتساب لا تحل له  
الزكاة .

وقال الحنفية والمالكية : بل تحل وتدفع له .  
وفي المبيت بالمزدلفة في فريضة الحج قال الحنفية والشافعية والحنابلة :  
يجب المبيت بالمزدلفة ، ومن تركه فعليه دم (ذبيحة) ، عن المغني .  
وقال الامامية والمالكية : لا يجب ، ولكنه الأفضل .

وفي رمي جمرة العقبة - وهي من مناسك الحج - قال المالكية والحنفية  
والحنابلة والامامية : لا يجوز رمي جمرة العقبة قبل الفجر فإذا رماها قبله من  
غير عذر أعاد ، وأجازوا التقديم لعذر كالعجز والمرض والخوف .  
وقال الشافعية : لا بأس بالتقديم ، لأن الوقت المذكور للاستحباب لا  
للولجوب (التذكرة وبداية ابن رشد) .

وفي عقد الزواج قال الامامية والحنابلة والشافعية : لا يصح العقد بالكتابة  
(بالمراسلة) .

وقال الحنفية : يصح إذا لم يكن الخاطب والمخطوبة في مكان واحد .  
قال الشافعية والمالكية : يتفرد الوالي بزواج البالغة الراشدة ، إذا كانت

بكرًا، أما إذا كانت نبيًا فهو شريك لها في الزواج، لا ينفرد دونها، ولا تنفرد دونه، ويجب أن يتوكل هو إنشاء العقد، ولا يتعقد بعبارات المرأة قط، وإن كان لابد من رضاها.

وقال الحنفية: للبالغة العاقلة أن تنفرد باختيار الزوج، وإن تنشئ العقد بنفسها بكرًا كانت أو نبيًا، وليس لأحد عليها ولاية، ولا حق الاعتراض، على شريطة أن تختار الكفاءة، وأن لا تزوج بأقل من مهر المثل.

وقال أكثر الامامية: إن البالغة الرشيدة تملك ببلوغها ورشدها جميع التصرفات من العقود وغيرها حتى الزواج، بكرًا كانت أو نبيًا، فيصح أن تعقد لنفسها ولغيرها مباشرة وتوكيلًا، إيجابًا وقبولًا، فهي كالرجل دون فرق (٢٣٨).

وفي الطلاق قال أبو زهرة في الأحوال الشخصية / ص (٢٨٣):  
(في المذهب الحنفي، يقع طلاق كل شخص، ما عدا الصغير والمجنون والمعتوه، فيقع طلاق الهازل والسكران من محرم والمكروه).  
وقال في ص (٢٨٦):

(من المقرر في المذهب الحنفي أن طلاق المخطئ والناسي يقع).  
وقال في ص (٢٨٤):  
(وقد وافق مالك والشافعي أبا حنيفة وأصحابه بالنسبة للهازل، وخالفه أحمد، فلم يقع طلاقه عنده).

وروى الامامية عن أهل البيت عليهم السلام :  
«لا طلاق إلا لمن أراد الطلاق».

وفي عدة الزاني: قال الحنفية والشافعية وأكثر الامامية: لا تجب العدة من

الزنا، لأنه لا حرمة لماء الزاني، فيجوز العقد على الزانية، ووطؤها، وإن كانت حاملاً، ولكن الحنفية قالوا: يجوز العقد على الحبل من الزنا ولا يجوز ووطؤها بل يدعها حتى تلد.

وقال المالكية: الواطئ بالزنا تماماً كالواطئ بالنسبة فتستبرئ بقدر العدة، إلا إذا أريد إقامة الحد عليها، فأنها تستبرئ بحیضة واحدة.

وقال الحنابلة: تجب العدة على الزانية كما يجب على المطلقة (المغني / ج ٦ / وجمع الأنهر).

وفي الوصية للحمل (الحنين في بطن أمه) اختلفوا هل يشرط وجود الحمل حال الوصية أو لا؟

قال الامامية والحنفية والحنابلة والشافعية في أصح قولهم: يشترط ذلك، ولا يرث إلا إذا علم أنه موجوداً حين الوصية، ويحصل العلم بذلك إذا وضعته حياً في مدة تقل عن ستة أشهر من تاريخ الوصية إذا كان لها زوج متمكّن من مفارقتها، وإذا ولدته لسته أشهر أو أكثر لم يعط الحمل شيئاً من الوصية لجواز تجددّه، الأصل عدم الحمل حين الوصية، وهذا القول يبنى على عدم جواز الوصية للمعدوم.

وقال المالكية: تصح الوصية للحمل الموجود فعلاً، ولمن سيوجد في المستقبل، حيث ذهبوا إلى جواز الوصية للمعدوم (تذكرة الحلي، والفقه على المذاهب الأربعة، والعدة في فقه الحنابلة / باب الوصية) (٢٣٩).

هذه نماذج من افقه المقارن اخترناها لنتضح للقارئ حقيقة الخلاف العلمي بين المذاهب الاسلامية وكيف أنّ المذاهب الاسلامية يلتقي فيها هذا المذهب مع ذاك، ويفترق عن غيره بغض النظر عن السنيّة والشيعة. فهذا نحن



نجد الحنفي والشافعي يلتقيان مع الامامي في حين يختلفان مع الحنبلي والمالكي، أو يلتقي المالكي مع الامامي ويختلف مع بقية المذاهب، أو يلتقي الحنبلي مع الامامي ويختلف مع بقية المذاهب، وهذه حقيقة واضحة نلاحظها في كل موضوعات الفقه وأبوابه، فليس الخلاف الفكري خلافاً بين سنة وشيعة، بل هو خلاف علمي ومنهجي بين المذاهب الخمسة، وعلينا أن نتحرى الأدلة الشرعية، ونناقش نقاشاً علمياً لتوصل إلى الصواب، فان لله في كل قضية حكماً واقعياً واحداً.

إن الذين يحاولون أن يصوّروا الخلاف بين السنة والشيعة بشكل يضع أحدهما في مواجهة الآخر، وإنهما صورتان متضادتان، إنما يزيّفون الحقيقة، ويتعدون عن الموضوعية والمنهج العلمي السليم، ويسعون لخدمة أعداء هذه الأمة، وتغزيق وحدة المسلمين وتشتيت شملهم.

## المسلمون أمة واحدة

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ \* وَلِتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .  
(آل عمران / ١٠٣ - ١٠٥)

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَمِيلَ بِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَدِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ \* مُسَبِّحِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُسْرِكِينَ \* مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِبْعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ .  
(الزوم / ٣٠ - ٣٢)

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكُّهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ .  
(الشورى / ١٠)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَرْسُلَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ .  
(النساء / ٥٩)

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُون﴾ . (المؤمنون / ٥٢)  
﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ .  
(الأنفال / ٤٦)

لقد دأب أعداء هذه الأمة منذ ولادتها وانشائها على يد الرسول الهادي محمد صلى الله عليه وآله، دأب أعداؤها من وثنيين، ويهود، ومناققين، وصلبيين، ومرترقة مترظفين على تمزيقها، وإشاعة الفرقة والخلاف في صفوفها.

لقد واجهت الدعوة الإسلامية وقائدها الرسول محمد صلى الله عليه وآله هذا الكبد والتخطيط من قبل اليهود والمشركون والمناققين، وانتصرت عليه بفضل قيادة الرسول صلى الله عليه وآله، والتزام الصحابة الأبرار.

وتاريخ الصراع بين جيل الدعوة الإسلامية أيام رسول الله صلى الله عليه وآله، وبين المنافقين واليهود مليء بالحوادث والوقائع، التي شخّصت لنا استعمال خصوم الاسلام، وأعداء الأمة، سلاح الفرقة والخلاف.

ومن يستقرئ القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة وأسباب نزول الآيات ويقف على تاريخ الدعوة الإسلامية الأول يلاحظ أن الرسالة حاربت هذا المرض الهدام حرباً لا هوادة فيها، وحذرت الأمة الإسلامية من أن تقع بما وقعت به الأمم السابقة، فقد حذر القرآن المسلمين من الفرقة والخلاف والتنازع. ودعاهم إلى الوحدة والتماسك، ورسم أمامهم صورة المأساة المترتبة على التنازع والخلاف بقوله:

﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾ (٥) **وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ** (٥٥) ﴿

لقد حذر القرآن من التنازع والخلاف الذي يقود الأمة إلى المصير المؤلم، وهو الضعف، والجبن، والوهن، وذهاب قوتهم، ودولتهم، وإن يكونوا شيعاً، وفرقاً متناحرة، متعادية، يضرب بعضها بعضاً، ويلعن بعضها بعضاً، شأنها في ذلك شأن المشركين والأمم الضالة التي فرقت كلمة الله، وعينت بشرائع

(٥) فتفشلوا: تحبوا وتضعفوا.

(٥٥) ريحكم: قوتكم.

المهدى، بعد أن وضحت لهم البيّنات.

إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يُوجِّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ لِأَن تَجْتَمِعَ عَلَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ:  
﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾.

وتعصم بحبل الله:

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾.

وأن هذه الأمة أمة واحدة:

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾.

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾.

وهكذا يضع القرآن عناصر توحيد الأمة أمامنا وهي:

١- إن المعبود واحد، وإن الهدف هو توحيده وعبادته.

٢- إن الهدف من الدين هو الاستقامة، والتوافق مع الفطرة الخيرة التي فطر الله الناس عليها.

٣- إن على الأمة أن تحوّل طاقاتها إلى الدعوة إلى الاسلام، وأن تكون مئة أمة تدعو إلى الخير، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتحمل رسالة الله إلى البشرية:

﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.

بدلاً من الفرقة والخلاف والتنازع، لنلا تستهلك الأمة طاقاتها وقواها في الصراع الداخلي، فتضعف وتمزق، وتكون لقمة سائغة لأعدائها.

ويوجّه القرآن أنظارنا إلى أهم أسباب الخلاف ويثبت الحلول المبدئية لها، فهو يوضح لنا:

١- إن الخلاف التشريعي والفكري يجب الرجوع فيه إلى كتاب الله وسنة

نبيه:

﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ .

﴿وَمَآ أَخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكُّهُ إِلَى اللَّهِ﴾ .

وينهانا عن أن نحول النزاع الفكري والتشريعي إلى مشكلة للفرقة والخلاف والعداوة، وشق وحدة الأمة :

﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ .

٢- إن المسائل ذات الطبيعة السياسية والاجتماعية التي يمارس ولي الأمر الشرعي عادة تخطيطها، ويشرف على تنفيذها يجب طاعة ولي الأمر فيها، والرجوع إليه، لئلا تنشأت المواقف والآراء، وتعدد المواقف السياسية والاجتماعية، ليكون للأمة موقف سياسي واجتماعي واحد.

﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ .

ما زال ولي الأمر ملتزماً بأحكام الشريعة وبحقناً لمصلحة الأمة .

والمسلمون اليوم - والله الحمد - بين أيديهم كتاب الله، الذي لا يأتيه الباطل من خلفه ولا من بين يديه، ولم تمسه يد التحريف، فهو كما جاء به رسول الله ﷺ :

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ . (الحجر / ٩)

وهم مجمعون على ذلك ومؤمنون به، وهم جميعاً موحدون، يؤمنون بالله الواحد الأحد، الإله الفرد الصمد، كما وصف نفسه في كتابه الكريم، ومجمعون على تصديق نبيهم محمد بن عبد الله ﷺ، ولهم قبلة واحدة، وهم مجمعون على فرائض الاسلام، الصلاة والصوم والحج والجهاد والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأمثالها.

وهم مجمعون على حرمة الكبانر، كالزنا والخمر واللواط والقمار والسرقة وقتل النفس والكذب والنسحت ... الخ.

وليس بينهم من خلاف في الأصول، والأسس الايمانية، التي تجعل منهم أمة مسلمة، بل هم متفقون عليها، لذا فإن المسائل الاجتهادية، ووجهات النظر العلمية يجب أن تُحل عن طريق الرجوع إلى كتاب الله، والثابت من السنة النبوية، فقد وضعهم رسولهم ﷺ على المحجة البيضاء، ووضح لهم الطريق، قال ﷺ :

«تركتمكم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك».

واليوم تمر الأمة الاسلامية بمرحلة تاريخية دقيقة، ومنعطف حضاري حاسم، فقد عُرِضَت هذه الأمة لغارة وغزو صليبي حاقد عليها. منذ الحروب الصليبية، ولحد الآن.

فقد استهدف هؤلاء الأعداء من صليبيين وصهاينة وعملاء تابعين هبه، عقيدة هذه الأمة، ومصالحها، وأوطانها، فما زالوا طوال القرنين، التاسع عشر والعشرين، يفتكون بهذه الأمة، ويمزقون أوصالها، ويشيعون التحزيق والخلاف السياسي، والفكري، والطائفي، والعنصري، والاقليمي بين صفوفها، إضافة إلى حربهم الفكرية ضد الاسلام، ومحاولتهم لإقصاء الاسلام، والقضاء عليه، وإشاعة الأفكار والنظريات المادية الملحدة، كالشيوعية والوجودية، والفكر الغربي الرأسمالي، والاشتراكي وغيره، وتكوين الأحزاب، والحكومات، والحكام العملاء، الذين يتبنون هذه النظريات، ومحاربون الاسلام ودعائه، والعاملين لرفع لوائه، وهداية الانسان واتقائه من الظلم والاستعباد والسيطرة الاستكبارية الفاشية. وكلما عمل المخلصون من أبناء هذه الأمة على توحيد صفوفها، واعادتها إلى رسالتها وحضارتها الاسلامية، وتطبيق النظم والقوانين الإلهية، عمل العملاء والجواسيس، وعناصر السوء، من الانتهازيين والمتلبسين بزي العلماء على

نشر الفركة والخلاف، وتشويه وجه الاسلام، لتثبيت عروش العملاء، وشد أزر الظلمة، وتمكينهم من ضرب المستضعفين، وامتصاص الخيرات، ويسط النفوذ الصهيوني، والرأسمالي، والشيوعي عليها.

فعلى أبناء هذه الأمة أن يتسلحوا بالوعي، وأن يدركوا حقيقة الذين ينشرون سموم الفركة والخلاف بين المسلمين، عن طريق الدس، والكذب، والافتراء، أو عن طريق تصيد الضعيف والمندوس من الزوايات والأفكار في كتب أصحاب المذاهب الاسلامية، والتي نجد العلماء والباحثين، قد أسقطوها من الحساب العلمي. واعتبروها من المندوسات، والمسلمون جميعاً يعرفون ذلك، حتى أن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع وقال:

«قد كثرت عليّ الكذابة وستكثر، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار. فاذا أتاكم الحديث، فاعرضوه على كتاب الله وسنتي، فما وافق كتاب الله فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به» (٢٤٠).

فاذا نعرف ذلك جميعاً فلمصلحة من ينهري في هذه الفترة المرحجة بالذات بعض المخربين إلى تأليف الكتب، وإصدار النشرات التي تنشر الفركة والخلاف بين المسلمين، وتكفر بعضهم، وتزرع الضغائن والأحقاد في النفوس، ورسول الله ﷺ يقول:

«لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» (٢٤١).

إن ذلك ولا شك عمل تقف وراءه قوى الاستكبار العالمي، الذي يرئف من الزحف الاسلامي، ومن تماسك أمة محمد ﷺ، واتحادها، بما تمك من

(٢٤٠) الشيخ عباس القمي / سفينة البحار / باب الكذب / ص ٤٧٤.

(٢٤١) أبو داود / سنن أبي داود / ج ٤ / باب إفساء السلام / ص ٣٥٠.

قوى، وطاقات بشرية، وطبيعية، وعقائدية عظيمة.

إن الحري بأصحاب الفكر والعلم والقلم، وبدعاة الاسلام، ومن يحملون هم الأمة والرسالة. والواعين المخلصين من أمة سيد المرسلين محمد ﷺ، أن يقفوا بوجه هذا العمل الذي يزرع الفرقة والخلاف، وأن يقوموا بالدعوة إلى توحيد مواقف المسلمين، ورضى صفوفهم، وحل الاشكالات التشريعية والفكرية بينهم. بالحجة والدليل العلمي.

نقل ابن شهر آشوب في كتاب مناقب آل أبي طالب:

(إن امرأة أوصت بثلاث ماها يتصدق به عنها، ويحج عنها، ويعتق، فلم يسع المال ذلك، فسئل أبو حنيفة، وسفيان الثوري، فقال كل واحد منها: أنظر إلى رجل قد حج فقطع به فيقوى، ورجل قد سعى في فكاك رقبة فبقي عليه شيء. فبعثني ويتصدق بالبقية<sup>(\*)</sup>، فسأل معاوية بن عمار<sup>(٥٥)</sup> أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن ذلك فقال: ابدأ بالحج. فإن الحج فريضة، وما بقي فضعه في النوافل، فبلغ ذلك أبا حنيفة، فرجع أبو حنيفة عن مقاله<sup>(٥٦)</sup>).

(وذكر أبو القاسم البغاري في مسند أبي حنيفة، قال الحسن بن زياد: سمعت أبا حنيفة، وقد سئل: من أفقه من رأيت؟

قال: جعفر بن محمد، لما أقدمه المنصور بعث إلي، فقال: يا أبا حنيفة إن الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد، فهين له من مسائلك الشداد، فهيات له

(\*) أقتبا بصرف المال لمساعدة من حج. ولم يكفه ماله. ومن أراد عتق رقبة، ولم يكفه ماله: أي أقتبا بالمساعدة على الحج. وفك الرقبة، ثم الصدقة.

(\*\*) من أصحاب الامام الصادق عليه السلام.

(٥٥) (٢٤٢) الخوارزمي / المناقب / الجزء الخامس / ص ٤٤ / نقلاً عن الشيخ حبيب آل إبراهيم، الخفائي في الجوامع والقوارق / ج ١ / ص ١٢٣ / ط ١٣٥٦ هـ.



أربعين مسألة. ثم بعث إليّ أبو جعفر المنصور (الخليفة العباسي) وهو بالحيرة، فأتيته، فدخلت عليه. وجعفر جالس عن يمينه، فلما بصرت به دخلني من الطيبة لحفر ما لم يدخلني لأبي جعفر (يعني المنصور)، فسألت عليه، فردّ إليّ، فجلست، ثم التفت إليه فقال: يا أبا عبدالله هذا أبو حنيفة، قال: نعم أعرفه، ثم التفت إليّ فقال: يا أبا حنيفة ألق على أبي عبدالله من مسألتك، فجعلت ألق عليه فيجيبني، فيقول: أنتم تقولون كذا، وأهل المدينة يقولون كذا، ونحن نقول كذا. فرجاً تابعناكم. وربما تابعناهم، وربما خالفنا جميعاً حتى أتيت على الأربعين مسألة، فما أضلّ منها بشيء، ثم قال أبو حنيفة: إن أعظم الناس أعدلهم باختلاف الناس (٢٤٣).

إنّ هاتين الحادتين توضحان لنا مدى الموضوعية والمنهجية العلمية في الحوار. وعرض القضايا، وتحريّ الحقيقة، وكيف جرى الحوار وأنتج الصواب.

إنّ مثل هذا المنهج هو المنهج الشرعي الذي أقرّه الاسلام، وجعله أساساً للوصول إلى الحقائق، فعلى هذا النهج فليحرر العلماء الباحثون، وبهذه الطريقة فليلتزم الجميع.

ونجد مثلاً للتفكير العلمي النزيه: الامام الأكبر الشيخ محمود شلتوت، شيخ الأزهر الشريف الذي أفتى لايناء المذاهب الاسلامية. الأحناف، والحنابلة، والمالكية، والشافعية بجواز العمل بمذهب الشيعة الامامية، كما يجوز العمل بغيره من المذاهب الاسلامية، فان ذلك كما صرح بفتواه صحيح ومقبول، وتبعه على ذلك شيخ الأزهر، الدكتور محمد محمد الفحام.

ومن المفيد جداً أن ننقل نص الفتوى التي أصدرها كل منهما:

الفتوى التي أصدرها السيد صاحب الفضيلة شيخ الأزهر في شأن جواز التَّعَبُّد بمذهب الشيعة الامامية :  
 قيل لفضيلته :

إنَّ بعض الناس يرى أنَّه يجب على المسلم لكي تقع عباداته ومعاملاته على وجه صحيح أن يقلَّد أحد المذاهب الأربعة المعروفة. وليس من بينها مذهب الشيعة الامامية، ولا الشيعة الزيدية، فهل توافقون فضيلتكم على هذا الرأي على اطلاقه، فتمنعون تقليد مذهب الشيعة الامامية الاثني عشرية مثلاً؟

فأجاب فضيلته :

١ - إنَّ الاسلام لا يوجب على أحد من أتباعه اتِّباع مذهب معيَّن بل نقول: إنَّ لكل مسلم الحق في أن يقلَّد بادي ذي بدء أيَّ مذهب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحاً، والمندونة أحكامها في كتبها الخاصَّة. ولمن قلَّد مذهباً من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره، أيَّ مذهب كان، ولا حرج عليه في شيء من ذلك.

٢ - إنَّ مذهب الجعفرية، المعروف بمذهب الشيعة الامامية الاثني عشرية، مذهب يجوز التَّعَبُّد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنة، فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك. وإن يتخلَّصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معيَّنة، فما كان دين الله، وما كانت شريعته، بتابعة لمذهب، أو مقصورة على مذهب، فالكلَّ مجتهدون مقبولون عند الله تعالى: يجوز لمن ليس أهلاً للخطِّ والاجتهاد تقليدهم، والعمل بما يقرُّرونه في فقههم، ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات. (محمود شلتوت)

وعقبَ المرحوم الدكتور محمد محمد القحَّام شيخ الأزهر في زمانه على فتوى الامام محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق قائلاً:

ورحم الله الشيخ شلتوت الذي التفت إلى هذا المعنى الكريم، فخلد في فتواه الصريحة الشجاعة، حيث قال ما مضمونه بجواز العمل بذهب الشيعة الإمامية، باعتباره مذهباً فقهياً إسلامياً. يقوم على الكتاب والسنة، والدليل الأسد، والله أسأل أن يوفق العاملين على هذا النهج القويم في التعريف بين الأخوة في العقيدة الإسلامية الحق.

﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسِيرِىَ اِلٰهَ عَمَلِكُمْ وَرِسُوْلَهُ وَالْمُؤْمِنُوْنَ﴾.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. (محمد محمد القحطام)

وهكذا نجد أن طريق توحيد الأمة واضح ومفتوح أمام المخلصين من أبناء الاسلام، وعليهم أن يوحدوا صفوفهم، وينبذوا الخلافات الجانبية والعصبية، ويقتلعوا أسباب الفرقة، ويخضعوا وجهات النظر العلمية للبحث والمناقشة.

إننا ندعو أبناء الأمة الإسلامية في كل مكان أن يعوا الوضع السياسي والاجتماعي الحرج الذي يمز به المسلمون، وأن يعملوا على توحيد الصف، ونبذ الفرقة، وينظر بعضهم إلى بعض بعين الود والأخوة، وأن يشخصوا من يثير الخلافات والعصبية بينهم، فينبذوهم، ويتعدوا عنهم.

وأن يخضعوا وجهات النظر العلمية للحوار، والبحث العلمي من غير إثارة أو عصبية، لتلاّ يستفيد أعداء الاسلام خصوصاً ونحن نواجه الصهيونية والاستعمار الشرقي والغربي وعملائهم.

وختاماً ندعو الله العليّ القدير أن يوحد صفوف هذه الأمة، ويبعد الدسائس، ومثيري الفتن بين أبناء الاسلام وإعاقة العاملين من أجل تطبيق شريعة الله، والداعين إليه، فإنّ في إضعاف صفوف المسلمين، وبثّ الفرقة بين قوى المجاهدين وانداعين إلى الله نصرة لأعداء الله، وخدمة للمستكبرين.

﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسِيرِىَ اِلٰهَ عَمَلِكُمْ وَرِسُوْلَهُ وَالْمُؤْمِنُوْنَ﴾.

أُستفيدت هذه الملاحق من كتاب  
سبيل النجاة في تنمّة المراجعات / الشيخ حسين الراضي

ملحق رقم (١)

آية التطهير

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

(سورة الأحزاب، آية: ٣٣)

هذه الآية نزلت في خمسة وهم: محمد ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين

عليه السلام.

يوجد في:

صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أهل بيت النبي ج ٢ / ص ٣٦٨ / ط عيسى الحلبي وج ١٥ / ص ١٩٤ / ط مصر بشرح النووي.

صحيح الترمذي ج ٥ / ص ٢٠ / ح ٣٢٥٨ وج ٥ / ص ٣٢٨ / ح ٢٨٧٥ / ط دار الفكر وج ٢ / ص ٢٠٩ و ٣٠٨ و ٣١٩ / ط بولاق وج ١٣ / ص ٢٠٠ / ط آخر، مسند أحمد بن حنبل ج ١ / ص ٣٣٠ / ط الميمنية بمصر وج ٥ / ص ٢٥ / ط دار المعارف بمصر بسند صحيح، المستدرک علی الصحیحین للحاکم ج ٣ / ص ١٣٣ و ١٤٦ و ١٤٧ و ١٥٨ وج ٢ / ص ٤١٦، تلخیص المستدرک للذهبي مطبوع بذيّل المستدرک عين الصفحات، المعجم الصغير للطبراني ج ١ / ص ٦٥ و ١٣٥، شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي ج ٢ / ص ١١ - ٩٢ حديث ٦٣٧ و ٦٣٨ و ٦٣٩ ر ٦٤٠ و ٦٤١ و ٦٤٤ و ٦٤٨ و ٦٤٩ و ٦٥٠ و ٦٥١ و ٦٥٢ و ٦٥٦ و ٦٥٧ و ٦٥٨ و ٦٥٩ و ٦٦٠ و ٦٦١ و ٦٦٣ و ٦٦٤ و ٦٦٥ و ٦٦٦ و ٦٦٧

٦٦٨ و ٦٧١ و ٦٧٢ و ٦٧٣ و ٦٧٥ و ٦٧٨ و ٦٨٠ و ٦٨١ و ٦٨٦ و ٦٨٩ و ٦٩٠ و ٦٩١ و ٦٩٤ و ٧٠٧ و ٧١٠ و ٧١٣ و ٧١٤ و ٧١٧ و ٧١٨ و ٧٢٩ و ٧٤٠ و ٧٥١ و ٧٥٤ و ٧٥٥ و ٧٥٦ و ٧٥٧ و ٧٥٨ و ٧٥٩ و ٧٦١ و ٧٦٢ و ٧٦٤ و ٧٦٥ و ٧٦٧ و ٧٦٨ و ٧٦٩ و ٧٧٠ و ٧٧٤ / ط ١ بيروت، خصائص أمير المؤمنين نثناشي الشافعي / ص ٤ / ط التقدم العلمية بصر / وص ٨ / ط بيروت / وص ٤٩ / ط الحيدرية، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج ١ / ص ١٨٥ ح ٢٥٠ و ٢٧٢ و ٢٢٠ و ٢٢١ و ٣٢٢، كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٥٤، و ٣٧٢ و ٣٧٣ و ٣٧٤ و ٣٧٥ وقد صححه وص ٣٧٦ / ط الحيدرية وص ١٣ و ٢٢٧ و ٢٣٠ و صححه وص ٢٣١ و ٢٣٢ / ط الغري، مستند أحمد ج ٣ / ص ٢٥٩ و ٢٨٥ و ج ٤ / ص ١٠٧ و ج ٦ / ص ٢٩٢ و ٢٩٦ و ٢٩٨ و ٣٠٤ و ٣٠٦ / ط الحسينية بصر، أسد الغاية في معرفة الصحابة لابن الأثير الشافعي ج ٢ / ص ١٢ و ٢٠ و ج ٣ / ص ٤١٣ و ج ٥ / ص ٥٢١ و ٥٨٩، ذخائر العقبى للطبري الشافعي / ص ٢١ و ٢٣ و ٢٤، أسباب النزول للواحدي / ص ٢٠٣ ط الحلبي بصر، مناقب للخوارزمي الحنفي / ص ٢٣ و ٢٢٤، تفسير الطبري ج ٢٢ / ص ٦، ٧ و ٨ / ط الحلبي بصر، الدر المنثور للسيوطي ج ٥ / ص ١٩٨ و ١٩٩، أحكام القرآن للجصاص ج ٥ / ص ٢٣٠ / ط عبدالرحمن محمد وص ٤٤٢ / ط القاهرة، مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي ص ٣٠١ ح ٣٤٥ وص ٣٤٨ و ٣٤٩ و ٣٥٠ و ٣٥١، مصابيح السنة للبخوي الشافعي ج ٢ / ص ٢٧٨ / ط محمد علي صبح و ج ٢ / ص ٢٠٤ / ط الخشاب، مشكاة المصابيح للعمري ج ٣ / ص ٢٥٤، الكشف للزمخشري ج ١ / ص ١٩٣ / ط مصطفى محمد و ج ١ / ص ٣٦٩ / ط بيروت، تذكرة الخواص للسلط ابن الجوزي الحنفي / ص ٢٢٣، مطالب السؤل لابن طلحة الشافعي ج ١ / ص ١٩ و ٢٠ / ط دار الكتب في النجف وص ٨ / ط طهران، أحكام القرآن لابن عربي ج ٢ / ص ١٦٦ / ط مصر و ج ٣ / ص ١٥٢٦ / ط آخر بصر، تفسير القرطبي ج ١٤ / ص ١٨٢ / ط ١ بالقاهرة، تفسير ابن كثير ج ٣ / ص ٤٨٣ و ٤٨٤ و ٤٨٥ /

ط ٢ بمصر، الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي / ص ٨، التسهيل لعلوم التنزيل  
 للكلبي ج ٣ / ص ١٣٧، التفسير المنير لعالم التنزيل للجاوي ج ٢ / ص ١٨٣،  
 الإصابة لابن حجر الشافعي ج ٢ / ص ٥٠٢ وج ٤ / ص ٣٦٧ ط مصطفى محمد  
 وج ٢ / ص ٥٠٩ وج ٤ / ص ٣٧٨ ط السعادة بمصر، الإقتان في علوم القرآن  
 للسيوطي ج ٤ / ص ٢٤٠ ط مطبعة المشهد الحسيني بمصر وج ٢ / ص ٢٠٠ /  
 ط آخر، الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي / ص ٨٥ و ١٣٧ ط الميمنية بمصر  
 وص ١٤١ و ٢٢٧ ط الحمدية بمصر، منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد بن  
 حنبل ج ٥ / ص ٩٦، السيرة النبوية لأبني دحلان بهامش السيرة الحلبية ج ٢ /  
 ص ٣٢٩ و ٣٣٠ ط المطبعة الهية بمصر وج ٣ / ص ٣٦٥ ط محمد علي صبيح  
 بمصر، إسعاف الراغبين للصبان بهامش نور الأبصار / ص ١٠٤ و ١٠٥ و ١٠٦ /  
 ط السعيدية وص ٩٧ و ٩٨ ط العتانية وص ١٠٥ ط مصطفى محمد بمصر، فتح  
 القدير للشوكاني ج ٤ / ص ٢٧٩، نور الأبصار للشيلنجي / ص ١٠٢ ط  
 السعيدية وص ١٠١ ط العتانية بمصر وص ١١٢ ط مصطفى محمد، أحقاق  
 الحق للتستري ج ٢ / ص ٥٠٢ - ٥٤٧، فضائل الخمسة ج ١ / ص ٢٢٤ -  
 ٢٤٣، الاستيعاب لابن عبد البر بهامش الإصابة ج ٣ / ص ٣٧ ط السعادة  
 وج ٣ / ص ٣٧ ط مصطفى محمد، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي / ص ١٠٧  
 و ١٠٨ و ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٤٤ و ٢٦٠ و ٢٩٤ ط اسلامبول وص ١٢٤  
 و ١٢٥ و ١٢٦ و ١٣٥ و ١٩٦ و ٢٢٩ و ٢٦٩ و ٢٧١ و ٢٧٢ و ٣٥٢ و ٣٥٣ ط  
 الحيدرية، العقد الفريد لابن عبد ربه المالكي / ج ٤ / ص ٣١١ ط لجنة التأليف  
 والنشر بمصر وج ٢ / ص ٢٩٤ ط دار انطباعه العامة بمصر وج ٢ / ص ٢٧٥ /  
 ط آخر، فتح البيان لصديق حسن خان / ج ٧ / ص ٣٦٣ و ٣٦٤ و ٣٦٥،  
 الرياض النضرة لمحب الدين الطبري الشافعي / ج ٢ / ص ٢٤٨ ط ٢، فرائد  
 السعطين للحموي الشافعي / ج ١ / ص ٣١٦ ح ٢٥٠ وج ٢ / ص ٩ ح  
 ٣٥٦ و ٣٦٢ و ٣٦٤، عبقات الأنوار قسم حديث الثقلين / ج ١ / ص ٢٨٥.

## اختصاص أهل البيت

### بعلی وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام

فقد قال الرسول الأعظم ﷺ مشيراً إلى علي وفاطمة والحسن والحسين:  
«اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا»  
وقريب منه ألفاظ أخرى:

راجع في ذلك: صحيح الترمذي ج ٥ / ص ٣١ / ح ٣٢٥٨ / وص ٣٢٨ / ح ٣٨٧٥ / وص ٣٦١ / ح ٣٩٦٣، شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج ١ / ص ١٢٤ / ح ١٧٢ وج ٢ / ص ١٦ حديث: ٦٤٧ و ٦٤٨ و ٦٤٩ و ٦٥١ و ٦٥٥ و ٦٥٦ و ٦٥٨ و ٦٥٩ و ٦٧٠ و ٦٧٢ و ٦٧٣ و ٦٧٥ و ٦٨٢ و ٦٨٣ و ٦٨٤ و ٦٨٦ و ٦٨٩ و ٦٩١ و ٦٩٢ و ٦٩٣ و ٧١٨ و ٧١٩ و ٧٢٠ و ٧٢١ و ٧٢٢ و ٧٢٤ و ٧٢٥ و ٧٢٦ و ٧٣١ و ٧٣٢ و ٧٣٤ و ٧٣٧ و ٧٣٨ و ٧٣٩ و ٧٤٠ و ٧٤١ و ٧٤٣ و ٧٥٤ و ٧٥٨ و ٧٥٩ و ٧٦٠ و ٧٦١ و ٧٦٥ و ٧٦٨ / ط بيروت، صحيح مسلم كتاب الفضائل باب فضائل علي بن أبي طالب ج ١٥ / ص ١٧٦ / ط مصر بشرح النووي وج ٢ / ص ٣٦٠ / ط عيسى الحنفي وج ٢ / ص ١١٩ / ط محمد علي صبيح بقصر، مناقب علي ابن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي / ص ٣٠٢ ح ٢٤٦ و ٣٤٧ و ٣٤٨ و ٣٤٩ و ٣٥٠، خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ٤ و ١٦ / ط مطبعة التقدم العلمية بالقاهرة و ص ٤٦ و ٦٣ / ط المحمدية و ص ٨ و ١٥ / ط بيروت، المستدرك على الصحيحين للحاكم ج ٢ / ص ١٥٠ و ١٥٢ و ٤١٦ و ج ٣ / ص ١٠٨ و ١٤٦ و ١٤٧ و ١٥٠ و ١٥٨، تلخيص المستدرك للذهبي مطبوع بذي المستدرك نفس الصفحات.

تفسير الطبري ج ٢٣ / ص ٦ و ٧ و ٨، السيرة النبوية لزيني دحلان مطبوع بهامش أنسيرة الحلبية ج ٣ / ص ٣٣٠ / ط الهيئة بمصر وج ٣ / ص ٣٦٥ / ط

محمد عليّ صبيح بصر، ذخائر العقبي لعب الدين الطبري الشافعي / ص ٢٣ و ٢٤،  
 تفسير ابن كثير ج ٣ / ص ٤٨٣، مجمع الزوائد ج ٧ / ص ٩١ وج ٩ / ص ١٦٧  
 و ١٦٩، مشكاة المصابيح للعمري / ج ٣ / ص ٢٥٤، مسند أحمد بن حنبل ج ١ /  
 ص ١٨٥ وج ٣ / ص ٢٥٩ و ٢٨٥ وج ٦ / ص ٢٩٨ / ط الميمنية بصر، أسد  
 انغابة لابن الأثير ج ٢ / ص ١٢ وج ٣ / ص ٤١٣ وج ٤ / ص ٢٦ و ٢٩ وج ٥ /  
 ص ٦٦ و ١٧٤ و ٥٢١ و ٥٨٩، منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٥ / ص  
 ٥٢، التاريخ الكبير للبخاري ج ١ / ق ٢ / ص ٦٩ / تحت رقم ١٧١٩ و ٢١٧٤ /  
 ط سنة ١٢٨٢ هـ، نظم درر السمطين للزرندي الحنفي / ص ١٣٣ و ٢٣٨ و ٢٣٩،  
 معالم التنزيل للبغوي الشافعي مطبوع بهامش تفسير الخازن ج ٥ / ص ٢١٣،  
 الصواعق المحرقة لابن حجر / ص ١١٩ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٤٣ و ٢٢٧ / ط  
 الممعدية وص ٧٢ و ٨٥ و ٨٧ و ١٣٧ / ط الميمنية بصر، تفسير الخازن ج ٥ / ص  
 ٢١٣، مرآة الجنان لنيافعي ج ١ / ص ١٠٩، أسباب النزول لنواحدي / ص  
 ٢٠٣، الإصابة لابن حجر العسقلاني ج ٢ / ص ٥٠٣ وج ٤ / ص ٣٦٧ / ط  
 مصطفى محمد وج ٢ / ص ٥٠٩ وج ٤ / ص ٣٧٨ / ط السعادة، الانحاف  
 لنشبراوي الشافعي / ص ٥، الاستيعاب لابن عبد البر بهامش الإصابة ج ٣ /  
 ص ٣٧ / ط السعادة، كفاية الطالب للكنجي الشافعي / ص ٥٤ و ١٤٢ و ١٤٤  
 و ٢٤٢ / ط الحيدرية وص ٥٥ و ٥٦ و ١١٧ / ط الغري، الفصول المهمة لابن  
 الصباغ المالكي / ص ٨، تذكرة الخواص للسيط ابن الجوزي الحنفي ص ٢٣٣ /  
 ط الحيدرية وص ٢٤٤ / ط الغري، مصابيح السنة للبغوي الشافعي ج ٢ / ص  
 ٢٧٨ / ط محمد عليّ صبيح وج ٢ / ص ٢٠٤ / ط الحيدرية بصر، المعجم الصغير  
 للطبراني ج ١ / ص ٦٥، تفسير الفخر الرازي ج ٢ / ص ٧٠٠، إسعاف الراغبين  
 للمصبان الشافعي بهامش نور الأبصار / ص ٩٧ / ط الميمنية وص ١٠٤ / ط  
 السعيدية بصر، منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٥ / ص ٩٦، ترجمة



الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج ١ / ص ٢١ ح ٣٠ وص ١٨٤ ج ٢٤٩ و ٢٧١ و ٢٧٢ و ٢٧٣ و ٢٧٤، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي / ص ١٠٧ و ١٠٨ و ١٩٤ و ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٤٤ و ٢٨١ و ٢٩٤ / ط اسلامبول وص ١٢٥ و ١٢٦ و ١٣٥ و ٢٢٩ و ٢٦٩ و ٢٧٠ و ٢٧١ و ٢٧٢ و ٢٩١ و ٣٣٧ و ٣٥٢ و ٣٥٣ / ط الحيدرية، تاريخ الخلفاء للسيوطي / ص ١٦٩، إحقاق الحق للتستري ج ٩ / ص ٢ - ٦٩، الكلمة الفراء في تفضيل الزهراء للإمام شرف الدين / ص ٢٠٣ - ٢١٧ طبع ملحقاً مع الفصول المهمة / ط النعمان، الدر المنتور للسيوطي ج ٥ / ص ١٩٨ و ١٩٩، فتح القدير للشوكاني ج ٤ / ص ٢٧٩، فتح البيان لصديق حسن خان ج ٧ / ص ٣٦٤ و ٣٦٥، المناقب للخوارزمي الحنفي / ص ٦٠، مقتل الحسين للخوارزمي الحنفي ج ١ / ص ٧٥، مطالب أنسؤول لابن طلحة الشافعي ج ١ / ص ١٩ و ٢٠ / ط النجف، السيرة الحلبية لعلي برهان الدين الحلبي الشافعي ج ٣ / ص ٢١٢ / ط الهيئة بمصر ج ٣ / ص ٢٤٠ / ط محمد علي صبح بمصر، الرياض النضرة لمحبد الدين الطبري الشافعي ج ٢ / ص ٢٤٨ / ط ٢، فرائد السمطين ج ١ / ص ٣١٦ / ح ٢٥٠ وص ٣٦٨ / ح ٢٩٦ وج ٢ / ص ١٤ / ح ٣٦٠.

## أهل البيت

علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام

بإقرار أم سلمة زوج النبي وهي خارجة عنهم.

راجع:

صحيح الترمذي ج ٥ / ص ٣١ ح ٣٢٥٨ وص ٣٢٨ ح ٣٨٧٥ وص ٣٦١ / ح ٣٩٦٣، شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج ٢ / ص ٢٤ / حديث: ٦٥٩

٧٠٦ و ٧٠٧ و ٧٠٨ و ٧٠٩ و ٧١٠ و ٧١٣ و ٧١٤ و ٧١٧ و ٧٢٠ و ٧٢٢ و ٧٢٤ و ٧٢٥ و ٧٢٦ و ٧٢٩ و ٧٣١ و ٧٣٧ و ٧٤٠ و ٧٤٧ و ٧٤٨ و ٧٥٢ و ٧٥٣ و ٧٥٤ و ٧٥٥ و ٧٥٧ و ٧٥٨ و ٧٥٩ و ٧٦٠ و ٧٦١ و ٧٦٤ و ٧٦٥ و ٧٦٨. مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي / ص ٣٠٣ / ح ٣٤٧ و ٣٤٩. انفصول المهمة لابن الصباغ المالكي / ص ٨. تفسير ابن كثير ج ٣ / ص ٤٨٤ و ٤٨٥. السيرة النبوية لأبي دحلان بهامش السيرة الحلبية ج ٣ / ص ٣٣٠. ط التهيئة بمصر وج ٣ / ص ٣٦٥. ط محمد علي صبيح. نظم درر السعطين للزرندي الحنفي / ص ٢٣٨. إسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار / ص ٩٧. ط العتامة و ص ١٠٤ / ط السعيدية، ذخائر العقبى للطبري الشافعي / ص ٢١ و ٢٢. أسد الغابة لابن الأثير ج ٢ / ص ١٢ وج ٣ / ص ٤١٣ و ٤ / ص ٢٩. تفسير الطبري ج ٢٢ / ص ٧ و ٨. ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ١٠٧ و ٢٢٨ و ٢٣٠ و ٢٩٤. ط اسلامبول و ص ١٢٥ و ٢٦٩ و ٢٧٠ و ٣٥٢. ط الحيدرية، كفاية الطالب للكنجي الشافعي / ص ٣٧٢. ط الحيدرية و ص ٢٢٧ و ٢٢٨. ط الغري، الدر المنثور للسيوطي ج ٥ / ص ١٩٨. فتح القدير لنشوكافي ج ٤ / ص ٢٧٩. فتح البيان لصديق حسن خان ج ٧ / ص ٢٦٤. مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي ج ١ / ص ١٩. ط النجف، الرياض النضرة لمحب الدين الطبري الشافعي ج ٢ / ص ٢٤٨ / ط ٢.

إقرار عائشة زوجة النبي ﷺ أن أهل البيت هم: علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ :

راجع صحيح مسلم كتاب الفضائل باب فضائل أهل البيت ج ٢ / ص ٣٦٨. ط عيسى الحلبي بمصر وج ١٥ / ص ١٩٤. ط مصر بشرح النووي، شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج ٢ / ص ٢٣. حديث: ٦٧٦ و ٦٧٧ و ٦٧٩ و ٦٨٠ و ٦٨١ و ٦٨٢ و ٦٨٣ و ٦٨٤، (وفي هذه الأحاديث الثلاثة اعترفت أن الآية لا تشملها) المستدرك للحاكم ج ٣ / ص ١٤٧ وصححه. تلخيص المستدرك للذهبي

بذيل المستدرك، كفاية الطالب للكنجي الشافعي / ص ٥٤ و ٣٧٣ و ٣٧٤ / ط  
الحيدرية و ص ١٣ و ٢٢٩ و ٢٣٠ و صححه / ط الغري، نظم درر السمطين  
لفرزددي الحنفي / ص ١٣٣، إحقاق الحق للتستري ج ٩ / ص ١٠، الدر المنثور  
للسيوطي ج ٥ / ص ١٩٨ - ١٩٩، فتح القدير للشوكاني / ج ٤ / ص ٢٧٩، فتح  
البيان لصديق حسن خان ج ٧ / ص ٣٦٥، ذخائر العقبى للطبري الشافعي /  
ص ٢٤.

الرسول ﷺ يز بباب علي وفاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى الصلاة يقول:  
«الصلاة يا أهل البيت».

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

يوجد ذلك في:

صحيح الترمذي ج ٥ / ص ٣١ / ح ٣٢٥٩، شواهد التنزيل للحسكاني  
الحنفي ج ٢ / ص ١١ / حديث: ٦٣٧ و ٦٣٨ و ٦٣٩ و ٦٤٠ و ٦٤٤ و ٦٩٥ و ٦٩٦  
و ٧٧٣، الدر المنثور للسيوطي ج ٥ / ص ١٩٩، تفسير الطبري ج ٢٢ / ص ٦،  
مجمع الزوائد للهيتمي الشافعي ج ٩ / ص ١٦٨، أسد الغابة لابن الأثير الشافعي  
ج ٥ / ص ٥٢١، أنساب الأشراف للبلاذري ج ٢ / ص ١٠٤ / ح ٣٨، انفصول  
المهمة لابن الصباغ المالكي / ص ٨، تفسير ابن كثير ج ٣ / ص ٤٨٣ و ٤٨٤،  
المستدرك للحاكم ج ٣ / ص ١٥٨ و صححه، تلخيص المستدرك للذهبي مطبوع  
بذيل المستدرك، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي / ص ١٩٣ و ٢٣٠ / ط اسلامبول  
و ص ٢٢٩ و ٢٦٩ / ط الحيدرية، مسند أحمد بن حنبل ج ٣ / ص ٢٥٩ و ٢٨٥ /  
ط الميمنية بمصر، منتخب كثر العمان بهامش مسند أحمد ج ٥ / ص ٩٦، فتح  
البيان لصديق حسن خان ج ٧ / ص ٣٦٥ / ط العاصمة بالقاهرة و ج ٧ /  
ص ٢٧٧ / ط بولاق بمصر، مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي ج ١ / ص ١٩.



مصطفى محمد وج ٤ / ص ٢٢٠ / ط بيروت، تفسير الفخر الرازي ج ٢٧ / ص ١٦٦ / ط عبدالرحمن محمد بمصر وج ٧ / ص ٤٠٥ - ٤٠٦، تفسير البيضاوي ج ٤ / ص ١٢٣ / ط مصطفى محمد بمصر وج ٥ / ص ٥٣ / أنست بيروت على ط دار الكتب العربية بمصر، وص ٦٤٢ / ط العنانية، تفسير ابن كثير ج ٤ / ص ١١٢، مجمع الزوائد ج ٧ / ص ١٠٣، وج ٩ / ص ١٦٨، فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن خان ج ٨ / ص ٣٧٢، تفسير القرطبي ج ١٦ / ص ٢٢، فتح القدير للشوكاني ج ٤ / ص ٥٣٧ / ط ٢ وج ٤ / ص ٢٢ / ط بمصر، الدر المنثور للسيوطي ج ٦ / ص ٧، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي / ص ١٠٦ و ١٩٤ و ٢٦١ / ط اسلامبول وص ١٢٣ و ٢٢٩ و ٣١١ / ط الحيدرية وج ١ / ص ١٠٥ وج ٢ / ص ١٩ و ٨٥ / ط العرفان بصيدا، تفسير النسفي ج ٤ / ص ١٠٥، حلية الأولياء ج ٢ / ص ٢٠١، القدير للأميني ج ٢ / ص ٣٠٦ - ٣١١، إحقاق الحق للمستشري ج ٣ / ص ٢ - ٢٢ ر ج ٩ / ص ٩٢ - ١٠١ / ط بطهران، فضائل الخمسة ج ١ / ص ٢٥٩، فرائد السمطين ج ١ / ص ٢٠ وج ٢ / ص ١٣ / ح ٣٥٩، عبقات الأنوار قسم حديث الثقلين ج ١ / ص ٢٨٥.

### ملحق رقم (٣)

#### قصة الإطعام

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ نَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً ۖ وَعَيْنَا يُشْرَبُ بِهَا عِبَادَ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً ۖ يُوقُونَ بِالْأَنْدَادِ وَيُقْضَوْنَ بِمِثْلِهَا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِثْقَلُ ذَرَّةٍ مِمَّا كَسَبُوا ۚ وَتِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ الَّتِي نَقُصُّ عَلَيْكَ لَعَلَّ تَعْلَمُ لَوَاقِعَ الْقُرْآنِ الَّتِي نَقُصُّ عَلَيْكَ ۚ وَإِنْ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً ۝﴾.

(سورة الدهر، الآيات: ٥ - ٢٢)

هذه الآيات نزلت في: علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام بمناسبة قصة صيامهم ثلاث أيام وتصدقهم في تلك الثلاثة بطعامهم على المسكين واليتيم والأسير.

راجع ذلك في: شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني المنفي ج ٢ / ص ٢٩٨ / حديث ١٠٤٢ و ١٠٤٦ و ١٠٤٧ و ١٠٤٨ و ١٠٥١ و ١٠٥٣ و ١٠٥٤ و ١٠٥٥ و ١٠٥٦ و ١٠٥٧ و ١٠٥٨ و ١٠٥٩ و ١٠٦١، المناقب للخوارزمي المنفي / ص ١٨٨ - ١٩٤، كفاية الطالب للكتنجي الشافعي / ص ٢٤٤ - ٣٤٨ / ط الحيدرية و ص ٢٠١ / ط الغري، تذكرة الخواص للنسب بن الجوزي المنفي / ص ٣١٢ - ٣١٧، مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي / ص ٢٧٢ / ج ٣٠٢، نور الأبصار للنسبنجي / ص ١٠٢ - ١٠٤ / ط السعيدية بمصر و ص ١٠١ - ١٠٢ / ط العثمانية بمصر، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ج ١٩ / ص ١٣٠، الكشف للزمخشري ج ٤ / ص ٦٧٠ / ط بيروت و ج ٤ / ص ١٩٧ / ط مصطفى محمد بمصر و ج ٢ / ص ٥١١ / ط آخر، روح المعاني للألوسي ج ٢٩ / ص ١٥٧، أسد الغابة لابن الأثير الجزري الشافعي ج ٥ / ص ٥٣٠ - ٥٣١، أسباب النزول للواحدي / ص ٢٥١، تفسير الفخر الرازي ج ١٣ / ص ٢٤٣ / ط التبية بمصر و ج ٨ / ص ٣٩٢ / ط الدار العامرة بمصر، تفسير أبي السعود بهامش تفسير الرازي ج ٨ / ص ٣٩٣ / ط الدار العامرة، التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي / ج ٤ / ص ١٦٧، فتح القدير للشوكاني ج ٥ / ص ٣٤٩ / ط ٢ و ج ٥ / ص ٣٣٨ / ط ١ الحلبي بمصر، الدر المنثور للسيوطي، ج ٦ / ص ٢٩٩، ذخائر العقبى / ص ٨٨ و ١٠٢، مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي ج ١ / ص ٨٨، العقد الفريد لابن عبد ربه المالكي ج ٥ / ص ٩٦ / ط ٢ لجنة التأليف والنشر بمصر و ج ٣ / ص ٤٥ / ط آخر، تفسير الخازن ج ٧ / ص ١٤٩، معالم التنزيل للبغوي الشافعي بهامش تفسير الخازن / ج ٧ / ص ١٥٩، الاصابة لابن حجر ج ٤ / ص ٢٨٧ / ط السعادة و ج ٤ / ص ٣٧٦ / ط مصطفى محمد بمصر، تفسير البضاوي ج ٥ / ص ١٦٥ / ط بيروت على ط دار الكتب العربية الكبرى و ج ٤ / ص ٢٣٥ / ط مصطفى محمد و ج ٢ / ص ٥٧١ / ط آخر، تفسير النسفي ج ٤ / ص ٣١٨، القدير للأميني / ج ٣ / ص ١٠٧ - ١١١، إحقاق الحق للنسري ج ٣ /

ص ١٥٨ - ١٦٩ وج ٩ / ص ١١٠ - ١٢٣، ينابيع المودة للفندوزي الحنفي / ص ٩٢ و ٢١٢ / ط اسلامبول وص ١٠٧ و ١٠٨ و ٢٥١ / ط الحيدرية، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ / ص ٢١ وج ١٣ / ص ٢٧٦ / ط مصر بتحقيق محمد أبو الفضل، الرياض النضرة لمحب الدين الطبري الشافعي ج ٢ / ص ٢٧٤ و ٣٠٢ / ط ٢، فضائل الخمسة من الصالح السبعة ج ١ / ص ٢٥٤، فراند السمطين ج ١ / ص ٥٣ - ٥٦ / ح ٢٨٣.

### ملحق رقم (٤)

#### آية الولاية

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۖ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ۝﴾.

(سورة المائدة، الآيات: ٥٥ - ٥٦)

نزلت في الامام علي عليه السلام حين تصدق وهو راكع.

راجع: شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج ١ / ص ١٦١ / ح ٢١٦ و ٢١٧ و ٢١٨ و ٢١٩ و ٢٢١ و ٢٢٢ و ٢٢٣ و ٢٢٤ و ٢٢٥ و ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٣١ و ٢٣٢ و ٢٣٣ و ٢٣٤ و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٤١ / ط بيروت، مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي / ص ٣١١ / ح ٣٥٤ و ٣٥٥ و ٣٥٦ و ٣٥٧ و ٣٥٨، كفاية الطالب للكنجي الشافعي / ص ٢٢٨ و ٢٥٠ و ٢٥١ / ط الحيدرية وص ١٠٦ و ١٢٢ و ١٢٣ / ط الغري، ذخائر العقبى لمحب الدين الطبري الشافعي / ص ٨٨ و ١٠٢، المناقب للخوارزمي الحنفي / ص ١٨٧، ترجمة الإمام علي ابن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج ٢ / ص ٤٠٩ / ح ٩٠٨ و ٩٠٩، الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي / ص ١٠٨ و ١٢٣، الدر المنثور للسيوطي ج ٢ / ص ٢٩٣، فتح القدير للشوكاني ج ٢ / ص

٥٣. التسهيل لعلوم التنزيل لفلكي ج ١ / ص ١٨١. الكشف للزمخشري ج ١ / ص ٦٤٩. تفسير الطبري ج ٦ / ص ٢٨٨ و ٢٨٩، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي الحنبلي / ج ٢ / ص ٣٨٣. تفسير القرطبي ج ٦ / ص ٢١٩ و ٢٢٠. تفسير المنير لمعالم التنزيل للجاوي ج ١ / ص ٢١٠. فتح تبيان في مفاصد القرآن ج ٣ / ص ٥١، أسباب النزول للواحدي / ص ١٤٨ / ط الهندية و ص ١١٣ / ط الحلبي بمصر، لباب النقول للسيوطي بهامش تفسير الجلائين / ص ٢١٣. تذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي الحنفي / ص ١٨ و ص ٢٠٨ / ط النجف و ص ١٥ / ط الحيدرية. نور الأبصار للشبلنجي ص ٧١ / ط العثمانية و ص ٧٠ / ط السعيدية بمصر. ينابيع المودة للقندوزي الحنفي / ص ١١٥ / ط اسلامبول و ص ١٣٥ / ط الحيدرية و ج ١ / ص ١١٤ و ج ٢ / ص ٣٧. تفسير الفخر الرازي ج ١٢ / ص ٢٠ و ٢٦ / ط البهية بمصر و ج ٣ / ص ٤٣١ / ط الدار العامة بمصر، تفسير ابن كثير ج ٢ / ص ٧١ / ط احياء الكتب، أحكام القرآن للجصاص ج ٤ / ص ١٠٢ / ط عبدالرحمن محمّد، مجمع الزوائد ج ٧ / ص ١٧، نظم درر السعطين للزرندي الحنفي / ص ٨٦ - ٨٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٣ / ص ٢٧٧ / ط مصر بتحقيق محمد أبو الفضل و ج ٣ / ص ٢٧٥ / ط ١ بمصر، الصواعق المحرقة لابن حجر / ص ٢٤ / ط الميمنية و ص ٣٩ / ط الحمدي، أنساب الأشراف للبلاذري ج ٢ / ص ١٥٠ / ح ١٥١ / ط بيروت، تفسير النسفي ج ١ / ص ٢٨٩، الحاوي للفتاوي للسيوطي ج ١ / ص ١٣٩ و ١٤٠، كنز العمال ج ١٥ / ص ١٤٦ / ح ٤١٦ و ص ٩٥ / ح ٢٦٩ / ط ٢، منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٥ / ص ٣٨. جامع الأصول ج ٩ / ص ٤٧٨، الرياض النضرة ج ٢ / ص ٢٧٣ و ٣٠٢. إحقاق الحق ج ٢ / ص ٣٩٩، الفدير للأميني / ج ٢ / ص ٥٢ و ج ٣ / ص ١٥٦، مطالب السؤول لابن طنحده الشافعي / ص ٣١ / ط طهران و ج ١ / ص ٨٧ / ط النجف، معالم التنزيل بهامش تفسير الخازن ج ٢ / ص ٥٥، فرائد السعطين ج ١ / ص ١١ و ١٩٠ / ح ١٥٠ و ١٥١ و ١٥٣.



## الفهرس

٣	المقدمة
٥	المدخل
٩	أهل البيت <small>عليهم السلام</small> في القرآن الكريم
٣٧	أهل البيت <small>عليهم السلام</small> في السنة النبوية
٥٤	القرآن الكريم عند علماء مدرسة أهل البيت <small>عليهم السلام</small>
٦٤	القرآن الكريم في روايات أهل البيت <small>عليهم السلام</small>
٦٧	أسس لفهم القرآن الكريم وتفسيره
٦٩	المنهج في تفسير القرآن
٧٣	السنة النبوية في مدرسة أهل البيت <small>عليهم السلام</small>
٧٨	أقسام السنة النبوية
٧٩	منهج التحقيق والإثبات
٨٣	أفة أهل البيت <small>عليهم السلام</small> الرواة عن رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small>
٩٨	التوحيد في منهج أهل البيت <small>عليهم السلام</small>
١٠٤	العدل الإلهي وتفسير السلوك الإنساني
١١٣	أهل البيت <small>عليهم السلام</small> والفرق الضالة
١٢٠	منهج أهل البيت <small>عليهم السلام</small> في تربية أصحابهم
١٢٣	الدور السياسي لأهل البيت <small>عليهم السلام</small>
١٢٥	منهج أهل البيت <small>عليهم السلام</small> في العمل السياسي
١٤٥	نظرة في المدارس الفقهية
١٥٣	المسلمون أمة واحدة
١٦٣	الملاحق

بمناسبة الاجتماع الثاني للهيئة العامة  
للمجمع العالمي لأهل البيت (ع)



العنوان: الجمهورية الإسلامية في إيران / قم  
ص.ب: ٣٧١٨٥/٨٧٣

ISBN 964-472-072-5